



مصابيح العلم 8



نَشْرَةٌ عِلميَّةٌ دَعَوِيَّةٌ تُعْنَى بِالتُّرَاث والمَخْطُوط والسِّيَر والتَّارِيخ | العدد الثَّامن – ربيع الآخر ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م

- شُكْرُ العِلْم
- الكَوثَرِيُّ وتَعْلِيقَاتُهُ
- وَصِيَّةُ القَاضِي ابْنِ طَالِبٍ القَيْرَوانِيِّ لِبَعْضِ قُضَاتِهِ
- سَبْتَةُ بَابُ الجِهَاد

جامع أبي الحسن التنسي - تلمسان

الفَهْرِسْ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

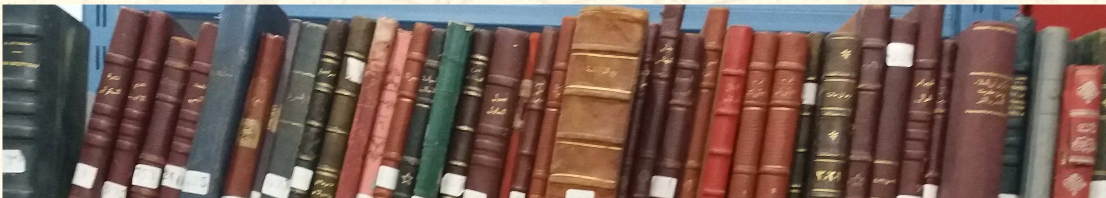
❋ إنَّ الحمد لله نَحمدُه ونَسْتَعِينُه ونَستَغْفِرُه، ونَعُوذُ بِاللهِ مِن شُرُورِ أَنفسِنا ومِن سَيِّئات أعمالنا، مَن يَهدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ له، ومَن يُضلِل فلَا هَادِيَ له، وأَشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحمَّدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النِّساء:١].

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أمَّا بعد: فإنَّ خيرَ الكلام كلام الله تعالى، وخيرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحمَّد ﷺ، وشرَّ الأُمُور مُحْدَثَاتُها، وكُلَّ مُحدثةٍ بِدعة، وكُلَّ بِدعةٍ ضَلَالةٌ، وكُلَّ ضَلَالَةٍ في النَّار.



❖ الاِفتتاحيَّة:

"شُكْرُ العِلْمِ: عَزْوُهُ لِقَائِلِه"

هي قولةٌ قَالَتها العُلَمَاء، ونطقت بِها الحُكَماء، ولم يَزَل يعملُ بها المُتأدِّبَةُ النُّبلَاء، وأهلُ المُروءَةِ الفُضلاء، يُجِيلُونَ النَّظرَ فيها، ويَتَوَاصَون بِها، ويحملون أنفسَهم على أن يَكونوا مِن أهلِها، لا يَرضَون أَن يَكُونُوا مِن أَهل الجُحود والكُفران، هِمَّتُهم في التَّحقُّقِ بمَعالِي الأُمور، واجتنابِ التَّشبُّهِ بِأَصحابِ الزُّور، قَصدُهُم إلى العَمَل بالحِكَمِ المُستفادَة، وَالاِقتداء بِالقَادَة أهلِ السِّيادَة، شَأنُهُم وشِعارُهُم في مَسعَاهُم: الصِّدقُ. «صَحَّ عن سُفيان الثَّوريِّ أَنَّهُ قال ما مَعناه: **نِسبَةُ الفائدة إلى مُفِيدِهَا مِنَ الصِّدْقِ في العِلْمِ وشُكْرِه، وإِنَّ السُّكُوتَ عَن ذلك مِنَ الكَذِبِ في العِلْمِ وكُفرِهِ**»[الجواهر والدُّرَر لِلسَّخَاوِي ص١٨١)].

هذا الحافظ أبو محمَّد عبد الغني بن سعيد يُصنِّف «**كتاب الشُّكْر**»، ومِن جملة أبوابِه: «**باب شُكْرِ مَن اسْتَفَادَ عِلمًا**»، وتحتَهُ يُثبِتُ هذه الحكايةَ الَّتي وقعت لَهُ مع الحافظ أبي عبد الله الحاكم النَّيسَابُورِي؛ حيثُ وصل إليه كتابُ هذا الأخير: «المدخل إلى معرفة الصَّحيح»، فأَحصَى عليه أوهامًا وأغلاطًا، وصنَّفَ عليهِ كتابَهُ: «الأوهام»، يقول الحافظ عبد الغني: «فَلَمَّا وصل الكِتَابُ إليهِ، أجابني على ذلك بِأَحسنِ جَوَابٍ، وشَكَرَ عَلَيهِ أَتَمَّ شُكرٍ، [وذَكَرَ أَنَّهُ أَمْلَاهُ على النَّاس، وضَمَّنَ كِتَابَهُ إِلَيَّ: الاِعتِرَافَ بِالفَائِدَة، وأَنَّهُ لَا يَذكُرُهَا إِلَّا عَنِّي]، وذكَرَ في كتابِهِ إِلَيَّ: أَنَّهُ لَا يَذكُرُ ما استفادَهُ مِن ذلك أبدًا إِلَّا عَنِّي، وذَكَرَ في كتابِهِ إِلَيَّ: أَنَّ أبا العباس محمَّد بن يعقوب الأَصمّ حَدَّثَهُم قال: نا العبَّاس بن محمَّد الدوري قال: سمعتُ أبا عُبَيد [القاسم بن سَلَّام] يقول: «**مِن شُكْرِ العِلْمِ أَن تَستَفِيدَ الشَّيءَ، فَإِذَا ذُكِرَ لكَ، قُلتَ: خَفِيَ عَلَيَّ كذا وكذا، ولم يَكُن لِي بِهِ عِلمٌ، حتَّى أَفَادَنِي فُلَانٌ فِيهِ [مِنهُ فُلَانٌ] كذا وكذا، فَهَذَا شُكْرُ العِلْمِ**»[«التعريف بالقاضي عياض» (ص٦٧-٦٨)]، وفي بعض السِّيَاقَات زيادةُ: «**وَلَا تُوهِمْهُم أَنَّكَ قُلْتَ هَذَا مِن نَفْسِكَ**»[الجامع لأخلاق الراوي وآداب السَّامع (رقم ١٤٧٧)].

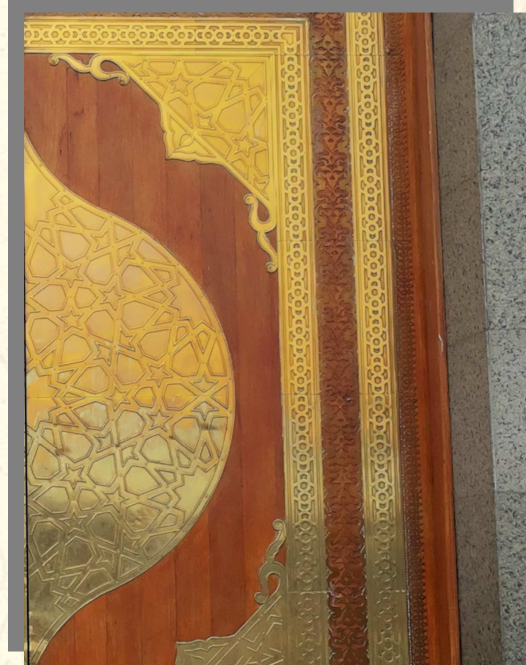
ولعلَّك تَعجَبُ مِن صنيع الحافظ أبي عبد الله، وَمِن حُسنِ أَدَبِهِ وسُمُوِّ خُلُقِهِ! ولكِن لِتَنظُر في صَنيعِ الحافظ أبي محمَّد... أَثْبَتَ

هذه الحِكاية في كتابِهِ وقُرِئَت عليهِ كذلك، وفي آخِرِهَا يَقُولُ: «**قال أبو محمَّد عبد الغني: عَلَّقْتُ هَذِهِ الحِكَايَةَ مُسْتَفِيدًا لَهَا ومُسْتَحْسِنًا، وَجَعَلْتُهَا حَيْثُ أَرَاهَا فِي كُلِّ وَقْتٍ، لأَقْتَدِيَ بِأَبِي عُبَيْدٍ وَأَتَأَدَّبَ بِآدَابِهِ**»اهـ

[«التعريف بالقاضي عياض» (ص٦٨)].







❖ عَقِيدَةٌ وَتَوْحِيدٌ:

القُبُورُ وعِبادَاتُها

حَاشِيَةٌ لِلشَّيخ بدر الدِّين النَّعْسَانِي الحَلَبِي رَحِمَهُ اللهُ

❋ هذا مقالٌ وقفتُ عليهِ في جريدة «صدى الصّحراء» الَّتي كانت تصدُرُ بمدينة «بسكرة» لصاحبها الشَّيخ أحمد بن العابد العُقبي، وكان مِن مُحَرِّرِيها الشَّيخ الزَّعيم الطَّيِّب العُقبي، أنقُلُهُ للقرَّاء الكرام ليُفيدُوا منهُ، وهو حاشية الشَّيخ بدر الدِّين النَّعساني على كتاب «الدُّرّ النَّضيد»، وإنِّي لم أَهْتَدِ أوّلاً إلى معرفةِ هذا الكتاب، ثمَّ يسَّرَ اللهُ لي معرفتُهُ والوقوف عليهِ، ومنهُ صحَّحتُ الأغلاط المطبعيَّة الواردة في الجريدة، وبعض الكلمات التي لم أستطع قراءتها لقِدَمِ النُّسخة ورداءةِ تصويرها.

أمَّا الكتاب، فهُوَ: «الدُّرُّ النَّضِيد لمجموعة ابن الحفيد» لمؤلِّفه: سيف الدِّين [أحمد] بن يحيى ابن سعد الدِّين مسعود بن عمر التفتازاني؛ المعروف بابن الحفيد. [انظر: ترجمته في «الأعلام» للزِّركلي(١/ ٢٧٠) و«معجم المؤلفين» لكحَّالة (٢/ ٢٠٥-٢٠٦)].

والطَّبعة التي قابلتُ عليها هي طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٠هـ= ١٩٨٠م.

❋ أمَّا صاحبُ الحاشية، فهو الشَّيخ بدر الدِّين، محمَّد بن مصطفى بن رسلان النَّعساني الحَلَبي، وُلد في حلب سنة (١٢٩٨هـ=١٨٨١م)، أقام في الأزهر ثماني سنين (١٣١٠- ١٣١٨هـ)، قام برحلةٍ إلى الهند سنة ١٣١٩هـ، وعاد إلى مصر بعد عام ونصف، فعمل في تصحيح بعض الكُتُب «وظلَّ إلى جانب عمله الصُّحفي، يُصحِّح الكتب التراثيَّة، وقد تهافت عليه النَّاشرون، يعتمدونه في تصحيح الكتب قبل نشرها، وقد مكَّنته هذه المهمَّة أن يقرأ الكثير من الذَّخائر، وأن يعيد قراءتها أكثر من مرَّة حتَّى أصبح -إلى جانب ثقافته الأدبيَّة- من المبرَّزين في فهم النُّصوص القديمة وشرحها. وممَّا صحَّحه ونشره بعد أن شرح غريبه: «ديوان زهير»، و«شواهد المفصَّل» للزَّمخشري و«ذيله»، و«المعلَّقات العشر»، و«الحيوان» للجاحظ و«العمدة» لابن رشيق القيرواني، وساعد في تأليف «منجم العمران» وهو ذيل «معجم البلدان» لياقوت الحموي، كما شرح «مفضَّليَّات» الضَّبِّي، وشواهد «همع الهوامع» للسُّيوطي».

ورحل إلى تونس والجزائر وطرابلس الغرب سنة (١٣٢٦هـ=١٩٠٨م)، ثمَّ إلى الأستانة، وعاد إلى حَلَب مدرِّسًا للُّغة العربيَّة في المدرسة السُّلطانيَّة، انتُخب عضوًا بالمجمع العلمي العربي بدمشق، توفِّي رَحِمَهُ اللهُ سنة: (١٣٦٢هـ=١٩٤٣م). [انظر: «الأعلام» (٧/ ١٠٢) و«معجم المؤلفين» (١٢/ ٢٩)، ومقدِّمة الطبعة الجديدة لـ «كتاب التَّعليم والإرشاد لمحمَّد بدر الدِّين النَّعساني» بعناية

حسن السَّماحي سويدان [دار القادري، ط١/١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م] و«الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية» لزكي محمد مجاهد (١/٣٦٦-٣٦٧)].

* قال مُحَرِّرُ جريدة «صدى الصَّحراء» [السَّنة الأولى، العدد (٥)، بسكرة: جمادى الثانية ١٣٤٤هـ الموافق لـ: ٤ جانفي ١٩٢٥م، (ص٢-٣)]:

«تقدَّم لنا في العدد السَّابق أن وعدنا القُرَّاء بنقل حاشية السَّيِّد بدر الدِّين النَّعساني وكلامه النَّفيس الَّذي علَّق به على قولِ مُؤلِّف «الدُّرّ النَّضيد»، وها نحنُ لهم بِالوَعد مُوفُون»:

قال صاحب «الدُّرّ» في العقد الثاني من المطلب الأول في جواهر علم الحديث صحيفة (٦٥):

«فائدة ـ في الحديث: «**لَعْنَةُ اللهِ على اليَهُودِ والنَّصارى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنبِيَائِهِم مَسَاجِدِ**». فيه إشكال...» إلخ انتهى ممَّا به الحاجةُ ممَّا ذكره صاحبُ «الدُّرّ».

قال المُحشِّي:

«قولُهُ: «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَى اليَهُودِ...**» إلخ، أقول: جاء الحديثُ في الصِّحاح بلفظ: «**لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ والنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُور أَنبِيَائِهِم مَسَاجِد. يُحَذِّرُ مَا فَعَلُوا**». وقد تكلَّم المصنِّفُ على هذا الحديث الجليل بما لا يُسْمِنُ ولا يُغْنِي، وهو أصلٌ [كبيرٌ][1] مِن أصول الدِّين، وفي معناهُ أحاديثُ كثيرةٌ [صحيحةٌ][2]، نُورِدُ بعضها إن شاء الله تعالى.

والمرادُ مِن الحديث النَّهيُ عن الغُلُوِّ في الأنبياء (عليهم الصَّلاة والسَّلام)، وإِنزالهم فوق مراتبهم الَّتي أَنزلهم اللهُ بها، واتِّخاذ قبورهم (عليهم الصَّلاة والسَّلام) مساجد، وعبادتهم دون ربِّ العالمين، والالتجاء إليهم في جَلْبِ المصالح ودَفْعِ المضارِّ.

واعلم أنَّ تعظيم القبور والبناء عليها واتِّخاذها مساجد والطَّواف حولها[3] كما يطوف الحاجُّ بالبيت العتيق الَّذي شرع الله لعباده الطَّواف حوله لحكمةٍ يعلمها (جلَّ شأنه) مفتاحُ بابِ الشِّركِ باللهِ

---

١ – غير موجودة في الجريدة، واستدركتُها من كتاب «الدُّر النَّضيد»، طبعة دار الكتاب العربي.

٢ – غير موجودة في الجريدة، واستدركتُها من كتاب «الدُّر النَّضيد»، طبعة دار الكتاب العربي.

٣ – قُلتُ: الطَّوافُ حولَ القبرِ مِن الشِّرك بالله تعالى كما بيَّنهُ المحقِّقون.

تعالى، فقد كان قومُ نوحٍ عليه السلام على عبادة الله سبحانه وتعالى وتوحيده، لا يُشركون به شيئًا، ثمَّ نشأ فيهم قومٌ ذوُو صلاحٍ وتُقى، فلمَّا مات هؤلاء الصَّالحون عَكَفُوا على قبورهم، ثمَّ جعلوا لهم تماثيل يَذكرونهم بها ويَتبرَّكُون بها، فلمّا طَالَ عليهم الأَمَدُ عبدوهم وجعلوهم شُركاء لله، حتَّى ما تنفعهم دعوةُ داعٍ إلى هدى ورشاد ورجوعٍ إلى الحقِّ والسَّدَاد، كما حكى اللهُ (جلَّ شأنه) ذلك عنهم في جوابهم لنوحٍ عليه السلام بقوله: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝٢٣﴾ [الجنّ: ٢٣]. وكذلك كان العربُ على دين إسماعيل عليه السلام، حتَّى أدخل عليهم إبليس لَعَنَهُ الله وخَذَلَهُ الشِّركَ مِن هذا الباب، وانتشر ذلك فيهم حتَّى لم يَبْقَ على دينِ إسماعيل غيرُ نَفَرٍ يسيرٍ، فلمَّا بعثَ اللهُ سيِّدنا محمَّدًا صلى الله عليه وسلم ونَصَرَ به أولياءه الموحِّدين وخَذَلَ به أعداءه المشركين، وتقلَّصَ ظِلُّ الشِّرك مِن أرض العرب إلاَّ يسيرًا، خافَ صلى الله عليه وسلم على أُمَّتِهِ أن يَدخل عليهم إبليسُ مِن الباب الَّذي دَخَلَ به على مَن سبقهم مِن الأُمم، فيُفسِدَ عليهم التَّوحيد ويُوقِعهم في الشِّرك مِن حيثُ لا يشعرون، فحذَّرَهُم عليه السلام مِن ذلك، وبيَّنَ لهم ذلك الباب الَّذي يدخلُ منه إبليس لإغوائهم، وبالَغَ في ذلك عليه السلام، فقالَ: «لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ والنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنبيَائِهِم مَسَاجِد».

وقال قَبْلَ أن يَمُوتَ بخمسٍ: «إنَّ مَن كَانَ قَبلَكُم كَانُوا يَتَّخِذُون القُبُورَ مَسَاجِد، أَلاَ فَلَا تَتَّخِذوا القُبُور مَسَاجِد، فَإِنِّي أَنْهَاكُم عَن ذَلِك». رواه مسلم.

وفي «صحيح ابن حبان» عنه (عليه الصَّلاة والسَّلام) أنَّه قالَ: «إنَّ مِن شِرَارِ النَّاسِ مَن تُدرِكُهُ السَّاعَةُ وهُم أَحْيَاءُ، والَّذين يَتَّخِذُون القُبُور مَسَاجِد».

وروى مالكٌ في «الموطَّأ» عنه (عليه الصَّلاة والسَّلام)، أنَّه قال: «اللَّهمَّ لا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَومٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِم مَسَاجِد»اهـ.

وخَصَّ نفسَه (عليه الصَّلاة والسَّلام) والأنبياء بالذِّكر في النَّهي عن اتِّخاذ قُبورهم مساجد، ليُعلم [أنَّه] إذا لم يَجُزْ اتِّخاذ قُبور الأنبياء مساجد، وهُم أكرمُ النَّاسِ على الله وحُجَّتُهُ على خَلْقِه، فلأَنْ لا يجوز اتِّخاذ قُبور غيرِهم مساجد مِن باب أولى.

وما زال بابُ هذه الفتنة مُقْفَلًا بين المسلمين حتَّى ظهرت فِرقةُ الرَّافِضة فَغَلَوْا في الرُّسل وفي أئمَّتهم حتَّى اتَّخذوهم أربابًا مِن دُونِ الله، كما غَلَتْ النَّصارى في المسيح عليه السلام، وبَالَغُوا في تعظيمه ورَفْعِهِ حتَّى وقعوا في الشِّرك، وشَيَّدُوا المَشَاهد على القبور وزَخْرَفُوهَا وجَصَّصُوها وعَكَفُوا عليها وعَطَّلُوا مساجدَ الله وشَدُّوا الرِّحَالَ إليها، كما تُشَدُّ إلى البيت العتيق. وبعضهم يَرَى أنَّ زيارتها أفضلُ مِن زيارة مكَّةَ شرَّفها الله، وأنَّ الطَّواف بتلك القبور أفضل [مِن] الطَّواف بالكعبة، ثمَّ سَرَى شيءٌ مِن هذا الخَبَث والغُلُوِّ والإفراط إلى بعض المسلمين مِن غيرِ الرَّافضة ففَعَلُوا كما يفعلُ أولئك مِن جَعْلِ القبور مساجد، وبناء القبور، والتَّبَرُّك بها والإِفضاء بالحوائج إليها، وشَدِّ الرِّحال إليها، وزعموا أنَّ لهؤلاء الأموات تَصَرُّفاتٍ روحيَّة بعد مماتهم مثل تصرُّفاتهم الجسميَّة في حياتهم، وزاد قومٌ فزعموا – افتراءً على اللهِ وعليهم– أنَّ الله قد وَكَلَ إليهم تدبير العالم والتَّصرُّف فيه برغبتهم ومشيئتهم لا برغبته ومشيئته، فنَذَرُوا لهم النُّذُور، وقَرَّبُوا لهم القَرَابين، وسألوهم ما لا يَقدرُ عليه [أحدٌ][٤] إلاَّ الله تعالى مثل الرِّزق وشفاء الأمراض ونحو ذلك، وخافُوهم أشدَّ الخوف وفوق ما يخافون مِن الله؟ فترى الواحِدَ مِن هؤلاء يُهْمِلُ فريضة الحجِّ الَّتي افترضها ربُّ العِزَّة عليه، فلا يُؤَدِّيها طُول حياته مع غايةِ التَّمكُّن منها والقدرة عليها، ولا يتأخَّر عن زيارة الوليِّ في الوقت الَّذي اعتاد النّاسُ زيارته فيه، أو الوقت الَّذي جعل على نفسِه الزِّيارة [زيارتَهُ] فيه، وإذا فاته ذلك لمانعٍ مِن مرضٍ أو غيره ممَّا يُباح معه تركُ الحجِّ تألَّم وعَضَّ على أصابعه نَدَمًا، ثمَّ كلُّ ما يَنالُهُ مِن الشُّرور بعد ذلك أضافه إلى غضبِ المقبور عليه لتأخُّره عن زيارته. وترى الآخرين[٥] مِن هؤلاء الحمقاء يُعطِّل فريضة الزَّكاة فلا يُؤدِّيها وهو على سَعَةٍ تامَّةٍ وبَسْطٍ في المعيشة كامل، ويَبْسُطُ يديه بالنُّذُور للأموات وذبحِ الذَّبائح لهم وإنفاقِ الأموال

٤ – غير موجودة في الجريدة، واستدركتُها من كتاب «الدُّر النَّضيد»، طبعة دار الكتاب العربي.

٥ – في كتاب «الدُّر النَّضيد»، طبعة دار الكتاب العربي: «وترى الآخر».

الكثيرة في زيارتهم، فإن فَاتَهُ[٦] ذلك ولو سهوًا بَادَرَ بتقديمِ أضعافه لهم خِيفَةً منهم على نفسِهِ وأهله وماله، ولا يُبالي مِن ربِّ العِزَّة ولا يحسِب له حسابًا.

هذا ولولا أنَّ أصحاب هذه المعتقدات الباطلة بين ظَهْرَانِينَا لم نُصَدِّق أنَّ مُسلمًا يقولُ مثل هذا القول والأمرُ لله، ولا حول ولا قوَّة إلاّ بالله العلي العظيم!

والطَّرِيقُ المستقيم لمن يرجو الله واليوم الآخر ويطلُبُ لنفسه طريقًا إلى الجنَّة، أن يَعتقد أنَّ الله واحدٌ لا شريك له في مُلكه، ولا خالق غيره، ولا ربَّ سواه، وأنَّه لا يُعطي ولا يَمنع ولا يَخفِض ولا يرفع إلاّ هو، وأنَّه لم يُوكل ولن يُوكل أحدًا مِن مخلوقاته في التَّصرُّف في مُلكه، وإنَّما يَفعل مثل هذا مَن يعجز عن القيام بشؤون نفسه، وأنَّه يفعلُ بمجرَّد مَشيئته واختياره لا بأمرِ امرئٍ، ولا بعدَ استشارةِ أحدٍ لحكمةٍ يعلمُها هو، لا لرغبةِ فلان ولا فلان، وأنَّه لن يَجْسُرَ أحدٌ مِن خَلْقِه ولا الملائكة المقرَّبُون ولا الأنبياء المرسلون على تغييرِ شيءٍ مِن خَلْقِهِ، وأنَّ الأنبياءَ عبادٌ مُكْرَمُون جعلهُمُ الله سُفَرَاءَ بينه وبين خَلْقِهِ في دعوتهم إليه والإقرارِ له بالوحدانيَّة، لئلاَّ يكون للنَّاسِ على اللهِ حُجَّةٌ بعد الرُّسل، وأنَّهم لا يَملكون لأنفسهم ضَرًّا ولا نفعًا ولا لغيرِهم مِن سائر خَلْقِ الله، وأنَّ الله عَصَمَهُم عمَّا يُخِلُّ بشَرَفِ الرِّسالة، لئلاّ يَفُوتَ الغرضُ المطلوب مِن هذه الرِّسالة، وأنَّهم لا يَزيدون على ذلك قَدْرَ حبَّةٍ، فمَن قال فيهم غيرَ هذا فهو مبتدعٌ إن لم يَنسب لهم مِن الأفعال ما هو للهِ جلّ شأنه، وإلاَّ فهو كافرٌ، وإنَّ الأولياءَ عبادٌ أطاعُوا الله فأَحَبَّهُم ورفع منزلتهم لديه، ولكنَّهم كغيرهم مِن النَّاس ليس لهم مِن أَمْرِ اللهِ شيءٌ، واللهُ لا يحتاجُ إلى وَساطةِ أحدٍ منهم في جَلْبِ منفعةٍ لأحدٍ أو دفعِ مَضَرَّةٍ عنه، وأنَّ اللهَ يفعلُ ما يفعلُ مِن ذلك بمحضِ اختياره.

وإنّ جَعْلَ القُبور مساجدَ أيَّ قبرٍ كانَ مَنهيٌّ عنه مَلعونٌ فاعلُهُ، كما سَبَقَ في الأحاديث الَّتي ذكرناها، وإنَّ تَشْيِيدَ القبور ونَصْبَ شُبَّاكِ النُّحاسِ عليها [و]إلْقَاءَ السَّتَائِر فوقها وتعليقَ القَنَادِيل [حواليها] مَنهيٌّ عنه مَلعُونٌ فاعله: قالَ ﷺ في الحديث الصَّحيح: «لَعَنَ اللهُ زَوَّارَاتِ القُبُور، والمُتَّخِذِينَ عليها

٦ - في جريدة «صدى الصحراء»: «فاتهم».

السُّرُج»[٧]، وفي «صحيح مسلم» عن أبي هَيَّاجٍ الأسديِّ قال: قال لي عليٌّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«أَلاَ أَبْعَثُكَ عَلَى ما بَعَثَنِي عليهِ رسولُ الله ﷺ؛ أَلاَّ أَدَعَ قَبْرًا مُشْرِفًا إلاَّ سَوَّيْتَهُ، ولاَ تِمْثَالاً إلاَّ طَمَسْتَهُ»**، فقَرَنَ بين تَسويةِ القبرِ وطَمْسِ التِّمثال، وفي «الصَّحيحين»: أَنَّ أُمَّ سلمة وأُمَّ حبيبة ذَكَرَتَا للنَّبيِّ ﷺ كَنِيسَةً بأرضِ الحَبَشَة، وذَكَرتَاَ مَا مِن حُسْنِهَا وتَصاوِير فيها، فقال (عليه الصَّلاة والسَّلام): **«إِنَّ أُولَئِكِ إِذَا مَاتَ فِيهِم الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا وصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ التَّصَاوِير، أُولَئِكِ شِرَارُ الخَلْقِ عِندَ اللهِ يومَ القِيَامَة»**.

وإنَّ تسويةَ هذه القبور المشيَّدة أمرٌ واجبٌ، لا يُنازع فيه إلاَّ ضَالٌّ مبتدِعٌ لا يرجو لله حسابًا، قبرَ مَن كان؛ مِن كبيرٍ أو صغيرٍ أو عالمٍ أو جاهلٍ أو صالحٍ، وليس في هذا إِيذَاءُ أحدٍ مِن الأولياء ولا مِن غيرهم، فإنَّ هذا حُكْمٌ مِن أحكام الدِّين يجبُ إقامتُهُ، ومَن لم يَرْضَ به وتَأَذَّى بإقامته، فهو كافرٌ ملعونٌ ليس مِن عبادِ اللهِ الصَّالحين، وحاشا أولياءَ اللهِ أن يَتَأَذَّوا مِن إقامةِ أحكامه الَّتي شرعها لعباده وكلَّفهم بها، وهُم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أشدُّ النَّاسِ حِرْصًا على إقامةِ حدودِ اللهِ وأبعدُهم عن مُقَارَفَةِ الإثم، وما أَوْقَعَ النَّاسَ في هذا المنكر إلاَّ التَّقليد وقِلَّةُ مَن يُبَصِّرُ النَّاسَ مِن العلماء ويُرشدهم إلى طريق الحقِّ ويُعرِّفهم الحلال مِن الحرام، وفسادُ قلوب العامَّة وغِلَظُ أكبادهم، فتراهم إذا ناظرتَهُم على إتيانِ هذه المنكرات احتجُّوا بأنَّ العلماء يَأْتُونها، وليس فِعْلُ أحدٍ حُجَّةٌ في الدِّين بعد النَّبيِّ ﷺ، فإذا رَوَيْتَ لهم حديثَ النَّبيِّ ﷺ الصَّحيح الصَّريح على خلافِ مَا [يَرَاهُ] ويفعلُهُ نَفَرَ أَشَدَّ النُّفُور، وهذا مُنكرٌ عَمَّ بلاؤُهُ ومَرَضٌ تَعَذَّرَ على الأطبَّاء شفاؤُهُ، والأَمْرُ للهِ العليِّ الكبير».

* «**صدى الصَّحراء**»: «انتهى هذا الكلام الَّذي هُوَ لعالِمٍ شرقيٍّ كتبهُ كشرحٍ على ما تقدَّم مِن حديثِ لَعْنِ القُبُوريِّين، وهو كما يرى المنصِفُ مُدَعَّمٌ بالحُجَج القاطعة والبراهين السَّاطعة، وقد نقلناهُ برُمَّتِهِ ليَطَّلِعَ عليه مَن لم يَسْبِقْ لهُ رُؤيتُهُ، وينطبِقُ ما فيه على قصيدةِ «**إلى الدِّين الخَالِص...**»[٨]، فمَنْ لم تُرْضِهِ تلكَ القصيدة

---

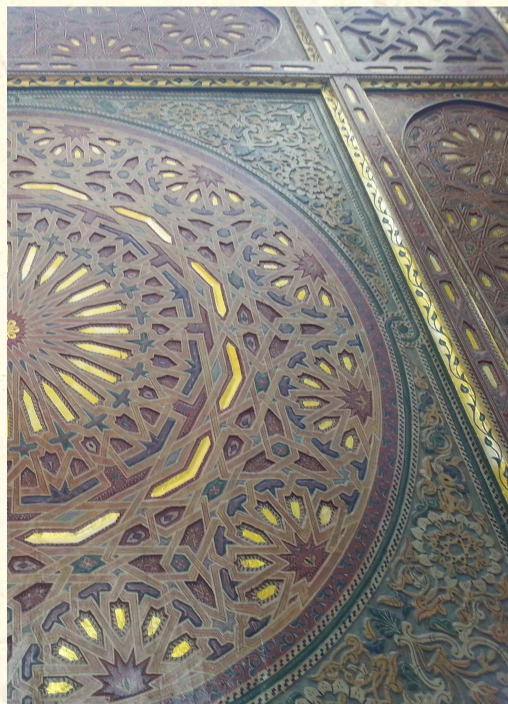
٧ – جملةُ «المتَّخذين عليها السُّرُج» ضعيفةٌ، كما بيَّنهُ العلاَّمةُ الألبانيُّ في «أحكام الجنائز».

٨ – هي قصيدةُ خَطِيبِ السَّلفيِّين وشاعرهم وكاتبهم: الزَّعيم الشَّيخ الطَّيِّب العُقبيّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

ولا هذا الكلام فَلْيَأْتِنَا بحديثٍ غيرِهِ يكونُ أحسنَ مِن هذا كُلِّهِ، ونحنُ نَتَعَهَّدُ لهُ بنَشْرِهِ مَتَى كان في هذهِ الدَّائِرة (دائرةِ العِلم والإنصاف والمُحَاجَجَة والبُرهان)، واللهُ وليُّ التَّوفيق».







❖ سَبِيلُ السُّنَّة:

تَقْرِيظ العلاَّمة مُبارك الميليّ الجزائري لرسالة «الكَوْثَرِي وتَعْلِيقَاتُه»:

* لمَّا صدر كُتيِّب «الكوثريُّ وتعليقاته»، كتب عنه الشَّيخ مباركُ المِيليُّ الجزائريُّ؛ مُحرِّرُ جريدة «البصائر» كلمةً[٩]، ضمَّنها رأيَه في الكَوثَريِّ المُنحرف عن السُّنَّةِ وأهلها، ورَأْيَهُ في تعليقاته الَّتي كان «المِيليُّ» مِن أوائل مَن تفطَّن لها، قال تحت عنوان «الكَوْثَرِيُّ وتَعْلِيقَاتُهُ»:

«رسالةٌ لطيفة تقع في عشرين صفحة مطبوعة طبعًا جيِّدًا في ورق صقيل. مُحرَّرةٌ بقلم الأستاذ محمَّد نصيف السَّلفيِّ الجمَّاعة للكتب الواسع الاطِّلاع، كَشَفَ بها عن سُوءِ عقيدة الشَّيخ زاهد الكوثريِّ في أئمَّة السَّلف ورجال الحديث. حملَهُ على تَحريرِها ما رآهُ مِن تحامُلِ الكَوثريِّ على خِيرَةِ علماءِ الأُمَّة الحاملينَ لِلعقيدةِ السَّلفيَّةِ، وذلك في تعليقاته الَّتي وضعها على عِدَّة كتب نَشَرَها الشَّيخ حسام الدِّين القدسيُّ وعَهِد إليه بِتَصحيحها والتَّعليق عليها.

وقد اقتنيتُ جملةً مِن تلك الكُتب مِن مكتبةِ الأستاذ القدسيِّ، ورأيتُ تعليقات الكوثريِّ عليها، فساءَني منها مثل ما ساءَ الأستاذ محمَّد نصيف، وإِن رَاقني منها مَتانةٌ في الأسلوب وسَعةٌ في الاطِّلاع ممَّا يدلُّ على عنايةٍ شديدةٍ في البحث والتَّحرير معًا، ولكنَّها عنايةٌ لِالتقاط ما يُوافقُ الهوى والإغراب على القارئ في المَظانِّ حتَّى يعسر الوقوف على تَحريفه وتَزويقه.

ويَومئذٍ هَمَمتُ أَن أكتب إلى الأستاذ القدسيِّ بِرَأيِي في تعليقات الكَوثريِّ، ولكنِّي رأيتُهُ بعد قد أدركَ سُوء قصده ووقف على ما أوجب له الإعلان بالبراءةِ منه وتسجيل خيانته في النَّقل، فكَتَبَ القدسيُّ هذا المعنى في مقدِّمة نَشرِهِ لِرسالة «القصد والأمم»، وبَسَطَهُ في مقدِّمته لِنَشرِ كتاب «الإنتقاء» وكِلَاهُما لِابن عبد البرِّ، فأَخبرتُ الأستاذ القدسيَّ

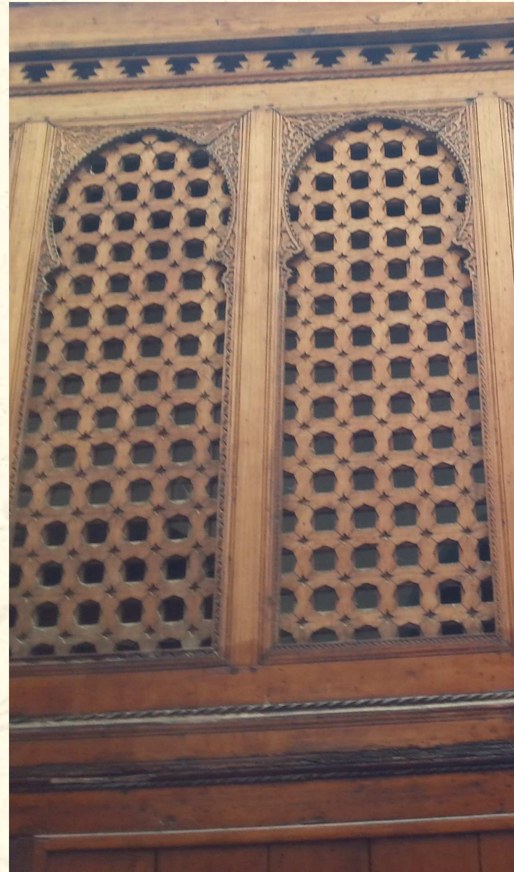
---

٩ - «البصائر»، السِّلسلة الأُولى، العدد: (١٤٣)، الجمعة ١٧ شوَّال ١٣٥٧هـ، الموافق لـ ٩ ديسامبر ١٩٣٨م، (ص:٨).

بِعَزمي الأوَّل، وشَكَرتُ لَهُ نُصحَهُ وإخلاصَهُ لِلعلم فيما كَتَبَ» اهـ.

* تنبيهٌ: وأَوَدُّ أن أُنبِّهَ هُنا أنَّ الكُتيِّب هذا، ليس مِن تأليف الشَّيخ محمَّد نصيف رَحِمَهُ اللهُ، وإنَّما مِن تأليف علاَّمة الشَّام الشَّيخ بهجت البَيْطَار رَحِمَهُ اللهُ، وإنَّما قام نَصِيفٌ على طبعه.



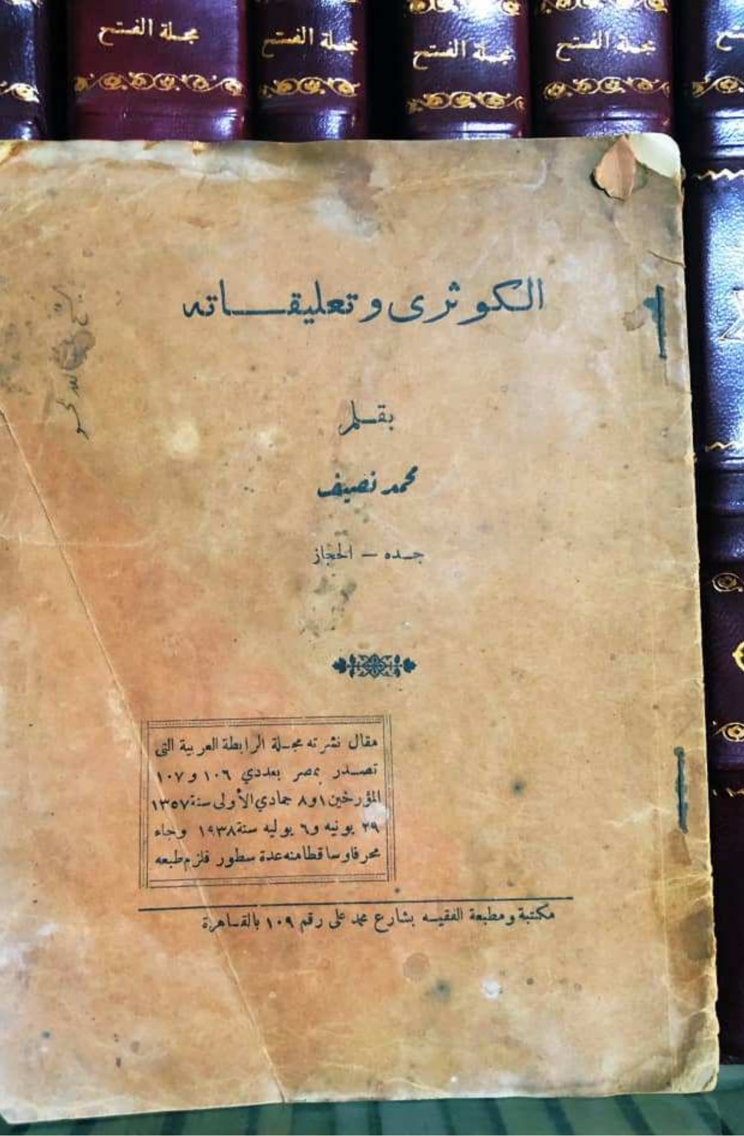


تَقْرِيظُ العلاَّمة مُحِبِّ الدِّين الخَطِيب لِرسالة «الكَوْثَرِيُّ وتَعْلِيقاتُهُ»:

قال رَحِمَهُ اللهُ تحت العنوان المذكور:

«لَقِيتُ مرَّةً في إحدى عربَات «التْرَام» فضيلة الأستاذ الجليل الشَّيخ مصطفى الحمامي وفي يَدِهِ كتابٌ للشَّيخ زاهد الكوثري في الرَّدِّ على كتابٍ للقاضي الفاضل الشَّيخ أحمد شاكر في بيان الطَّلاق الشَّرعيِّ في الإسلام واستعراضِ النُّصوص عن الصَّحابةِ وأئمَّة السَّلَف فِيهِ. فقال لي الأستاذ الحمامي: إنَّ الشَّيخ أحمد شاكر شَذَّ في أُمُورٍ ما كان يَنبغي له أن يشذَّ فيها حول مسألة الطَّلاق. فنَظرتُ إلى الكتاب الَّذي في يَدِهِ وقُلتُ لهُ: إنَّ مِثل الشَّيخ الكوثريِّ لَا يجوز الِاعتِمادُ على نُقُولِهِ في الحُكم على الَّذين يَنقل عنهم، ولا شَكَّ عندي أنَّك إذا رَجعتَ إلى كتابِ الشَّيخ أحمد شاكر وقَرأتَه مُستقِلًّا تَكونُ

صُورتُهُ في ذِهنِك غيرَ صُورتِهِ الَّتي تَهيَّأت لك مِن كتابِ الكوثريِّ في الرَّدِّ عليهِ. وهذا أَمرٌ تَأكَّدنَاهُ مِن كُلِّ ما نَقلهُ الكوثريُّ عن العلماء، فالَّذي يَقرأ تِلك النُّقول في مَواضعها يَرى فيها غيرَ الرَّأي الَّذي كان يَرَاهُ لَو قَرأَها في كُتُب الكوثريِّ. وهذه الحقيقةُ أصبحت مَعروفةً عند جميع الَّذين رَاقبُوا ذلك واختبَرُوهُ بأنفسِهم. وقد جاءتنا الآن مِن وَجيه الحجاز الفاضل الكبير الشَّيخ محمَّد نصيف رسالةٌ بعنوان «**الكوثريُّ وتعليقاته**»، نَبَّهَ فيها على هذا المعنَى وضربَ له الأَمثال. فجَزاهُ اللهُ خيرًا. وهِي مطبوعةٌ عند مكتبة الفقيه بِشارع محمد علي، فنُلفِتُ إليها نظرَ كُلِّ مَن عندَهُ شيءٌ مِن كُتب الكوثريِّ، لِيتدبَّر هذا الأَمرَ ويكونَ مِنهُ على بيِّنةٍ. **مُحِبُّ الدِّين**» اهـ[١٠].





١٠ – «**الفتح**»، العدد (٦٢٦)، ١١ رمضان ١٣٥٧هـ، (ص٤)، العام الثالث عشر، (ص٦٣٤).

عُدْوَانٌ على عُلَمَاءِ الإِسْلَامِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ لَهُ حَدٌّ يَقِفُ عِنْدَهُ

للعلَّامة مُحِبِّ الدِّين الخَطِيب رَحِمَهُ اللهُ

* هذا مقالٌ نادِرٌ، نُشِر في مجلَّة «الزَّهراء» لُمنشِئِها: العلَّامة مُحبِّ الدِّين الخطيب (رحمه الله وجزاه خيرًا عن الإسلام والمسلمين)[11]، وهو واحدٌ مِن الكتابات الّتي كَشَفَت سُوءَ انحِرَافِ الكوثريِّ عن السَّلَف وطعنه في أئمّة الإسلامِ مِن الأوَّلين والآخِرين، وها هُوَ بِنَصِّهِ:

«كتب إليَّ مفخرةُ الحجاز ووَجِيهُها السَّيِّد محمَّد نصيف يُعاتبني على الكلمة الَّتي كتبتُها في جزء «الزَّهراء» الأخير تَقريظًا لـ«ذُيول تذكرة الحفَّاظ»، ويَلفت نظري إلى ما في تعليقات الكوثريِّ عليها وعلى غيرها مِن سلاطة وطول لسان على علماء الحديث وأعلام الأمَّة وأئمَّة السَّلف. وضرب لي مثلاً بما كتبه (في ص ٢٦١) عن الحافظ الشَّرايحي الَّذي فاته في صغره أن يكون قارئًا كاتبًا فلم يكن ذلك حائلًا بينه وبين أن يكون كما قال عنه الحافظ تقيُّ الدِّين بن فهد: «حافظًا لا يُدانَى في معرفة الأجزاء والعَوالِي، وآية في حفظ الرُّواة المتأخِّرين يُذاكر فيهم مُذاكرةً دالَّةً على حافظةٍ باهرةٍ مع حظٍّ مِن معرفة الرِّجال المتقدِّمين وغريب الحديث، وكان اعتمادُهُ في ذلك على حفظه، وكان يَستعين بِمَن يَقرأ له، وهو بهذه المثابة أُعجوبةُ زمانه في المحاضرة اللَّطيفة والنَّوادر الطَّريفة... وكان تغمَّده الله برحمته فقيهًا فَرَضِيًّا أوحَد الحفَّاظ المفيدين».

هذا بعض ما قاله الحافظ ابن فهد في «ذيل طبقات الحفَّاظ» محاولًا تعريف ابن الشَّرايحي (٧٤٨ - ٨٢٠) الَّذي كان أُعجوبة زمانه بما وهبه الله مِن علمٍ في سُنَّة الرَّسول ﷺ، وفي فقه الإمام محمد بن إدريس الشَّافعي، وفي الفرائض والمواريث مع أنَّه كان أُمِّيًّا.

والأُمِّيَّة كما يعلم القارئ غيرُ العامِّيَّة، فقد يكون الرَّجل أُمِّيًّا ويكون مع ذلك مِن كبار أهل الاخصاء في علم أو أكثر، كالإمام الكبير أبي عيسى التِّرمذيِّ صاحب كتاب «السُّنن» - وهو أحد الكتب السِّتَّة الَّتي أخذ منها المسلمون

11 - المجلَّد الخامس، الجزء الثَّاني والثَّالث، جمادى الأُولى ١٣٤٧هـ، (ص٤٣٩ - ٤٤٣).

دينهم بعد كتاب الله - وكالعلَّامة العظيم ابن سِيده صاحب «المُحكَم» و«المخصِّص»، ومنزلتهما في اللُّغة لا تقلُّ عن منزلة «سُنن التِّرمذيِّ» في الحديث.

فهؤلاء وأمثالهم كانوا أُمِّيِّين، ويَسُبُّ نفسه قبل أن يَسُبَّهم مَن يفسِّر أُمِّيَّتَهم بالعامِّيَّة، كما فعل الكوثريُّ في تعليقه على قول ابن فهد في الشَّرابجي(ص ٢٦١).

وظنَّ الكوثريُّ أنَّ المجال اتَّسع أمامه للطَّعن بأئمَّة الحديث، فانتهز هذه الفرصة وقال في تعليقاته: «ولأمثالهم (كثرة) بين الرُّواة على اختلاف القرون، بل (غالبهم) بمجرَّد تعلُّمهم حروف التَّهجِّي في الكتاتيب ينصرفون إلى الرِّواية وإلى مجالس السَّماع مِن صغرهم قبل تحصيل مبادئ العلوم الضَّروريَّة، فيبقون مِن أبعد خلق الله عن النَّظر والتَّبصُّر.. وإن كان بين هؤلاء مَن شُهر بالرِّواية لكن لم يزالوا على عامِّيَّتهم لبعدهم عن أهل العلم، وعدم ممارستهم النَّظر، وتعوُّدهم أن يعيشوا أُمَّةً وحدهم مُغترِّين بكثرة الملازمين لهم لتحمُّل ما عندهم مِن الرِّوايات».

وبعد أن أرسل الكوثريُّ هذه الشَّتائم إلى (الكثرة) من علماء الحديث، بل (غالبهم) غير مُتقيِّد بأهل قرن مِن القرون؛ خَطَرَ على باله حينئذ خاطرٌ خبيث وهو أن يرمي ثمرتين بحجر واحد.

فيردَّ على الأستاذ الإمام كلمةً له مشهورة في كتاب «الإسلام والنَّصرانيَّة»، وأن ينتقم لمن ذمَّهم الشَّيخ محمَّد عبده ممَّن كان يُجلُّهم - رَحِمَهُ اللهُ - ويحترم مقامهم.

رأى الكوثريُّ أنَّ الأستاذ الإمام الشَّيخ محمَّد عبده يقول في غلمان التُّرك الَّذين استعجم الإسلام على أيديهم زمن الدَّولة العبَّاسيَّة: «جاءوا إلى الإسلام بخشونة الجهل يحملون ألوية الظلم، لبسوا الإسلام على أبدانهم ولم ينفذ منه شيءٌ إلى وجدانهم، وكثيرٌ منهم كان يحمل إلهَهُ مَعَهُ يَعبدُهُ في خَلْوَتِهِ، ويُصَلِّي مع الجماعات لتمكين سُلطته، ثمَّ عدا على الإسلام آخرون كالتَّتار وغيرهم، ومنهم من تَوَلَّى أمره. أيُّ عدو لهؤلاء أشدُّ مِن العِلم الَّذي يُعرِّف الناس منزلتهم، ويكشف لهم قبح سيرهم».

رأى الكوثريُّ أنَّ الأستاذ الإمام يقول ذلك في أجناد التُّرك ومماليكهم زمن المعتصِم ومن بعده، فأراد أن ينتقم لهم مِن المحدِّثين في الأقطار العربيَّة، فقال في هذه التَّعليقات الخبيثة ذاكرًا (الكثرة) مِن أهل

الحديث بل (غالبهم): «ولم يستأصل الإسلام من عقولهم بعدُ شَأْفَةَ نِحَلهم الَّتي كانوا عليها قبل الإسلام[١٢] مِن يهوديَّة بفلسطين[١٣]، ونصرانيَّة بالشَّام، ووثنيَّة بالبادية، وصابئيَّة بِحَرَّان وواسط عبَدة الأَجْرَام العلوية وغيرها مِن قدماء المشبِّهة، ظانِّين ما هم عليه هو الِاعتقاد الصَّحيح!!».

هذا بعض ما يقوله الكوثريُّ في (غالب) علماء الحديث، وقد وقف حياته على البحث عمَّا يقوله الخصوم في خصومهم ليُذِيعَهُ في هذه التَّعليقات فيهدم حرمة الأئمَّة مِن قلوب الأمَّة.

وقد بلغ به الأمر أن أقنع صديقنا الفاضل ناشرَ تعليقاته بأنّ في دار الكتب الظَّاهريَّة كتابًا بخطِّ شيخ الإسلام ابن تيميَّة قال فيهِ بالتَّجسيم.

ودار الكتب الظَّاهريَّة كان أبي (رَحِمَهُ اللهُ) أَمِينَها، ونشأتُ منذ طفولتي بين جدرانها، وكان اثنان في دمشق يَقرآن خطَّ شيخ الإسلام ابن تيميَّة؛ أحدهما كاتبُ هذه السُّطور، والَّذي طبع مِن كتبه نقلاً عن خطِّه كان منقولًا، وأنا مِن أعرف النَّاس بكتب ابن تيميَّة المكتوبة بخطِّه، فقلت لصديقي: إن كان هذا موجودًا بخطِّ ابن تيميَّة فأنا مُستعدٌّ لأعلن على رؤوس الأشهاد انضمامي إلى رأي الكوثريِّ في هذه المسألة.

وأمَّا إن عجزتم عن إظهار ذلك بخطِّ شيخ الإسلام، فيكفي أن تعلم أيُّها الصَّديق أنَّك قد خُدعت، وأنَّ هذه الفِرية فِرية شعوبيٍّ عدوٍّ لِسَلَفِنا مُعتدٍ على علمائنا يقول بقاعدة «الغاية تُبَرِّر الواسطة».

ومِن أمثلة بُغضِهِ للسَّلَف أنَّهُ لَمَّا أراد أن يكتب ترجمة الإمام ابن قتيبة في ثلاثة

---

١٢ – الكوثريُّ يتكلَّم عن علماء الحديث على اختلاف القرون، فلا ندري مَن هم المعنيُّون بقوله: إنَّ الإسلام لم يستأصل مِن عقولهم بَعْدُ شَأْفَةَ نِحَلهم الَّتي كانوا عليها قبل الإسلام، فإن كان يعني من كان منهم قريب عهد بصدر الإسلام فهؤلاء هم التَّابعون وتلك مصيبة، وإن كان يعني أهل القرن السَّابع والثَّامن المعاصرين للحافظ الشَّرايحي؛ فكيف لم تكفِ السَّبعة القرون والثَّمانية القرون لتطهير الأوطان الإسلاميَّة مِن شَأْفَة النِّحَل الَّتي كانت فيها قبل الإسلام؟ أهذا هو البَصَر الَّذي يفتخر به الكوثريُّ على أئمَّة الحديث.

١٣ – وهذه جهالةٌ أخرى ففلسطين لَمَّا جاء الإسلام لم تكن ديارًا يهوديَّة، بل لم يكن الرُّومانيُّون يجيزون لليهود يومئذٍ التَّوطُّن في فلسطين.

سطور لم يجد ما يقوله فيه غير هذه الكلمات: «هو صاحب التَّصانيف أبو محمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، أحد أئمَّة الأدب، إخباريٌّ قليل الرِّواية، قد يعتمد على التَّشبيه على ما يرويه مِن كتب أهل الكتاب[١٤]، يتَّهم بالنَّصْب، كَذَّبَهُ الحاكم ووثَّقَهُ غيره، مات عام ستٍّ وسبعين ومائتين».

فانظر إلى هذه الصُّورة الكاذبة الَّتي يُصَوِّر الكوثريُّ بها إمامًا عظيمًا كان خادمًا للقرآن مُدافعًا عن سُنَّة أبي القاسم ﷺ، وسيَلقى الله عَزَّ وجلَّ وفي يده كتابٌ مِن تصنيفه في الرَّدِّ على المُشبِّهة يُكذِّب به هؤلاء المُستَجِيزين سَبَّهُ والافتراء عليه.

وحَسْبُ ابن قتيبة قول الخطيب البغداديِّ فيه: «كان ثقةً دَيِّنًا فاضلًا»، وثناء العلماء عليه مِن أيَّامه إلى عهد الحافظ الذَّهبيِّ القائل: «ما علمتُ أحدًا اتَّهمَه في نقله»، ثمَّ إلى زمان الجلال السُّيوطيِّ الَّذي كان مِمَّن أحسن الثَّناء عليه، بل حسْبُه أنَّ أهل المغرب كانوا يقولون: «مَن استجاز الوقيعة في ابن قتيبة يُتَّهم بالزَّندقة»، ويقولون: «كلُّ بيتٍ ليس فيه شيءٌ مِن تَصنيفه لا خير فيه».

إنَّ ما يقوله الكوثريُّ في علمائنا لو قال أقلَّ منه طه حسين وسلامة موسى لأَقَمْنا القيامة عليهما، والمهمّة الَّتي انتدب لها الكماليُّون لا حاجة بها إلى من يُكمِّلها في بلادٍ لا تزال تعرف للسَّلَف أقدارهم وفضلهم» اهـ.

الزَّهراء

ج ١ : م ١ القاهرة ١٥ المحرَّم ١٣٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم

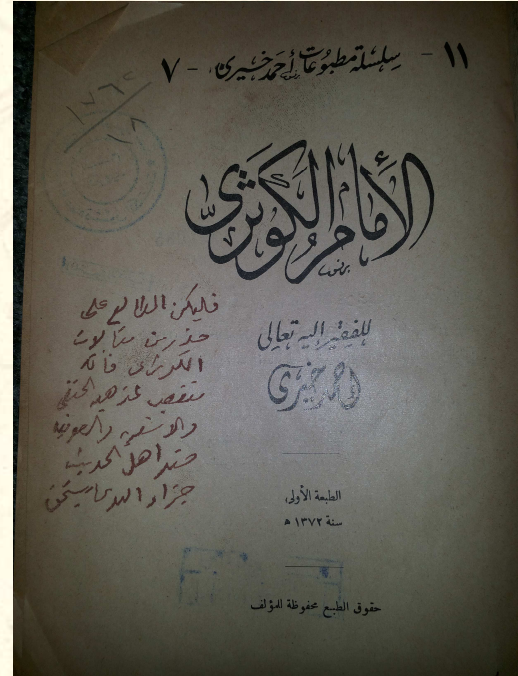
عونَكَ اللَّهمَّ على استئصال ما فينا مِن بواعث الانحلال والوَهْن، وتنظيمِ قُوانا في سبيل الصَّلاح والتجديد؛ فأنتَ المؤمَّل في مواقف الشدَّة، ومنكَ القوَّة للوصول إلى مراتب الكمال، وبكَ المعاذُ من ضُئولة النفس وخنوعها للهوى * اللَّهمَّ قِني عثرات الجهل، وأفَنَ الرأي؛ واجعلْ قليلَ علمي ذريعةً إلى خيرِكَ الجَمّ * ربِّ ألهمني وقومي الصِّدقَ في القول، والجِدَّ في العمل؛ وعلِّمنا وضعَ الأشياء في مواضعها، وتوسيدَ الأمور إلى أهلها، لنكون أمةَ خيرٍ وسداد؛ فبنعمتِكَ اللَّهمَّ تتمُّ الصالحات

وبعدُ فإن مُنشِئ هذه المجلة قد تأصَّل في نفسه الاعتقادُ - منذ أعوام كثيرة - بأن الناطقين بالضاد لا تثبُت لهم نهضة ما لم تكن قائمة

---

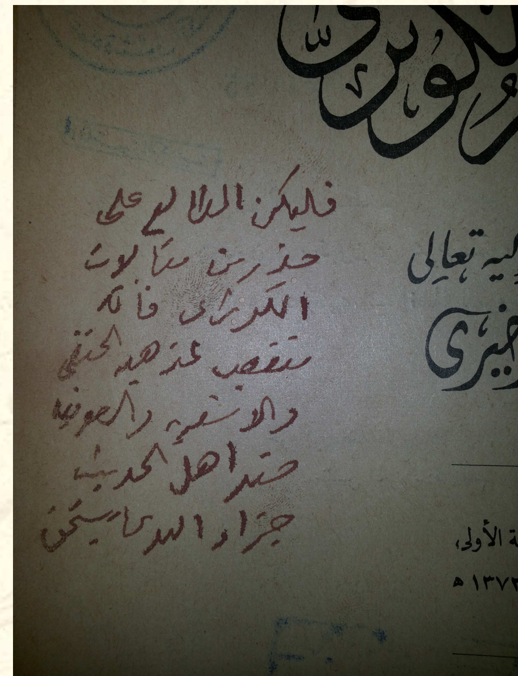
١٤ - والعجب مِن الكوثريِّ أنَّه وضع علماء الحديث المنسوبين إلى العراق في صفِّ الصَّابئة وعبدة الأَجْرَام العلويَّة، وابن قتيبة كان عراقيًّا، فما باله جعله تلميذ أهل الكتاب في التَّشبيه، وهو لم يكن شاميًّا ولا فلسطينيًّا!

❁ مِن مكتبة الشَّيخ محمَّد نصيف:



❋ كتبَ الشَّيخ محمَّد نَصيف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعليقةً بِالخَطِّ الأَحمر على غِلاف هذا الكتاب المُعنوَن بِـ: «الإمام الكَوثري»؛ تأليف أحمد خيري:

«فَلْيَكُنِ المُطَالِعُ عَلَى حَذَرٍ مِن مَقالات الكَوثَرِيِّ؛ فإنَّهُ مُتَعَصِّبٌ لِمَذهبِهِ الحَنَفِيِّ والأَشعريِّ والصُّوفيَّة، ضِدُّ أَهل الحديث، جَزَاهُ اللهُ بِمَا يَستَحِقُّ».



❖ آثَارٌ سَلَفِيَّةٌ:

بَادِيسِيَّات (٠٣)

«المُؤْمِنُ الكَامِلُ هُوَ مَنْ سَلِمَت فِطْرَتُهُ، وَصَحَّ إِدْرَاكُهُ، واتَّبَعَ القُرآنَ في عَقْدِهِ وخُلُقِهِ وعَمَلِهِ، واسْتَوَتْ خَلْوَتُهُ وجَلْوَتُهُ وسِرُّهُ وعَلَنُهُ»[«الشِّهاب» (١٠/ ٢١٧)].

«عَلَينَا أَن نَتَفَقَّدَ عقائِدَنا وأَخْلاقَنا وأعمالَنَا، ونَعْزِمَ فِيمَا انْدَثَرَ مِنْهَا عَلَى التَّجْدِيد» [«الشِّهَاب» (١٠/ ٣٣٠)].

«لَقَدْ كَانَ هَمُّنَا الأَوَّلُ تطْهِير عَقِيدَةِ التَّوحِيد مِن أَوْضَارِ الشِّرْكِ القَوْلِيِّ والفِعْلِيِّ والاِعْتِقَادِيِّ، فَإِنَّ التَّوحِيدَ هُوَ أَسَاسُ السُّلُوكِ» [«الآثار» (٥/ ٧٥)].

«الحَكَمُ فَوقَ الجَمِيعِ هُوَ كِتَابُ اللهِ وسُنَّةُ رَسُولِهِ وَعَمَلُ سَلَفِ الأُمَّةِ الصَّالِحِينَ» [«الآثار» (٥/ ٧٦)].

«ثِقَةُ القَوْمِ بِأَخِيهِمْ هِيَ الَّتِي يَسْعَى إِلَيْهَا مَن يَعْرِفُ قِيمَةَ نَفْسِهِ وقِيمَةَ قَومِهِ» [«الآثار» (٤/ ١٩٢)].

«عُمْرُ الإِنْسَانِ أَنْفَسُ كَنْزٍ يَمْلِكُهُ، ولَحَظَاتُهُ مَحْسُوبَةٌ عَلَيهِ، وكُلُّ لَحْظَةٍ تَمُرُّ مَعْمُورَةً بِعَمَلٍ مُفِيدٍ، فَقَد أَخَذَ حَظَّهُ مِنهَا ورِبحَها، وَكُلُّ لَحْظَةٍ تَمُرُّ فَارِغَةً، فَقَدْ غُبِنَ حَظَّهُ مِنْهَا وَخَسِرَهَا» [«الآثار» (٤/ ٢١٩)].

«احْذَرْ مِنَ الخِيَانَة! الخِيَانَة المَادِّيَّة فِي النُّفُوسِ وَالأَعْرَاضِ والأَمْوَال، وَالخِيَانَة الأَدَبِيَّة بِبَيْعِ الذِّمَّةِ والشَّرَفِ والضَّمِير» [«الآثار» (٤/ ٤٤)].

«فَهْمُ قَوَاعِدِ العِلْمِ وتَطْبِيقُهَا حَتَّى تَحْصُلَ مَلَكَةُ اسْتِعْمَالِهَا، هَذَا هُوَ المَقْصُودُ مِنَ الدَّرْسِ عَلَى الشُّيُوخ. فَأَمَّا تَوْسِيعُ دَائِرَةِ الفَهْمِ وَالاِطِّلَاعِ، فَإِنَّهَا يَتَوَصَّلُ إِلَيْهَا الطَّالِبُ بِنَفْسِهِ؛ بِمُطَالَعَاتِهِ لِلْكُتُبِ ومُزَاوَلَتِهِ لِلتَّقْرِيرِ وَالتَّحْرِيرِ» [«الآثار» (٣/ ٩٠)].

«لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْفَعَ النَّاسَ مَنْ أَهْمَلَ أَمْرَ نَفْسِهِ، فَعِنَايَةُ المَرْءِ بِنَفْسِهِ عَقْلًا ورُوحًا وبَدَنًا، لَازِمَةٌ لَهُ لِيَكُونَ ذَا أَثَرٍ نَافِعٍ فِي النَّاسِ عَلَى مَنَازِلِهِمْ مِنْهُ فِي القُرْبِ والبُعْدِ»[«الآثار» (٢/ ٢٩٨)].

«فَحَقٌّ عَلَى المُسْلِمِ أَنْ يَخْتَارَ مَنْ يُصَاحِبُ مِنْ رُفْقَةٍ، أَو يُجَالِسُ مِنْ جَمَاعَةٍ، أَو يُكَثِّرُ مِنْ سَوَادِ قَوْمٍ، فَإِنَّهُ مُحَاسَبٌ عَلَى أَعْمَالِهِ، ومِنْ أَعْمَالِهِ مُجَرَّدُ حُضُورُ بَدَنِهِ»[«الآثار» (٢/ ٩٠)]

❖ أَدَبُ الوَصَايَا:

وصيَّةُ القاضي ابنِ طالبٍ القَيرواني لِبَعضِ قُضَاته

❋ أَوْرَدَ أبو القاسم البُرْزُلِيّ (ت: ٨٤١هـ) في نوازله المُسَمَّاة: «جامع مسائل الأحكام» (٤/١٣-١٤) نصَّ وصيَّةِ القاضي ابن طالبٍ (ت: ٢٧٥هـ) لبعضِ قُضاتِهِ.

والقاضي ابن طالب هو: أبو العبَّاس، عبد الله بن طالب بن سفيان التَّميميُّ، مِن بني عمٍّ بني الأغلب، أُمَرَاء القيروان، تَفَقَّهَ بسُحنون، وكان مِن كبار أصحابه، ولقي المصريِّين: محمَّد بن عبد الحَكَم، ويونس بن عبد الأعلى، وحجَّ فانصرف، ووَلِيَ الصَّلاة، ثمَّ قضاء القيروان مرَّتين. قال أبو العرب: وكان عَدْلاً في قضائه، صارِمًا في جميع أمره، فقيهًا، ثقةً، عالمًا بما اختُلف فيه وفي الذَّبِّ عن مذهب مالك، وَرِعًا في حُكْمِه، قليل الهَيْبَةِ في الحقِّ للسُّلطان، وما سمعتُ العلم قطُّ أَطْيَب ولا أَحْلَى منه، مِن ابن طالب، ... وكان كثيرَ الأَمْرِ بالمعروف والنَّهْيِ عن المنكر، رَقِيق القلب، كثيرَ الدُّمُوع.

وقال ابن حارث: وكان ابنُ طالب إذا وَقَفَ للحُكْمِ بين الخصمين، كَتَبَ للمطلوب القصَّة الَّتِي شهد عليه بها، ثمَّ قال له: اذهبْ، وطُفْ بها على كلِّ مَن عنده علمٌ، وجِئْني بالأجوبةِ فيها.

وقال ابن أبي خالد: كان ابنُ طالب عَدْلًا في قضائه، وَرِعًا في أحكامه، كثيرَ المُشَاوَرَةِ لأهلِ العلم مِن أهلِ مذهبِهِ وغيرِهم.

وقال القصريُّ: كان ابنُ طالب يَذكر تنازع أصحابنا في المسائل، فرُبَّما ذَكَرَ في المسألة خمسة أقوالٍ أو ستَّة، ثمَّ تَسيل دموعه، ويَضع خَدَّهُ على الأرض، ويقول: **يا فتى! أَرَدتَ أن يُقال فقيه، فهل معكَ عملٌ صالحٌ تَنْجُو به مِن عذاب الله، وإلاَّ فما يُغْنِي هذا عنك**. وما رأيتُ أكثرَ دُمُوعًا عندَ ذِكرِ رسولِ الله ﷺ منه، وكان مع ذلك يقولُ أَعْجَبَتْنِي نفسي، فأقولُ: يا ابنَ طالب! هَبْكَ أعظم النَّاسِ قَدْرًا، وأكثرَهم عِلْمًا، أليسَ يَشفع وراء ذلك كلِّه الموت؟

وقال بعضهم: كنتُ أنظر إلى أبي العبَّاس ابن طالب إذا تفرَّغَ مِن القضاء بين النَّاس، قَدِمَ فوقف وحوَّلَ وجهَه إلى القِبلة، ثمَّ بَسَطَ كفَّيه، فنظرتُ إلى دُمُوعه وهي تجري على خَدَّيْهِ ولِحْيَتِهِ، وهو يقول: اللَّهمَّ إن كان منِّي زَلَّةٌ أو هَفْوَةٌ أو أَصْغَيْتُ بأذنيّ إلى خصمٍ دون خصم، أو مَالَتْ نفسي إلى خصمٍ دون خصم، فأسألُك أن تَغفر لي ذلك، ولا تُؤاخذني، ولا تَنتقم منِّي، إنَّك على كلّ شيءٍ قدير، ثمَّ يُصَلِّي على محمَّدٍ ﷺ، ويَنصرف. هكذا يَعْمَلُ في كُلِّ مجلسٍ.

كانت وفاةُ ابن طالب مَقتُولًا في سنة (٢٧٥هـ)، وهو ابنُ ثمانٍ وخمسين سنةً رَحِمَهُ اللهُ[١٥].

---

١٥ - راجع «ترتيب المدارك» للقاضي عياض.

* وهذا نَصُّ الوَصِيَّة:

«وَكَتَبَ ابنُ طالبٍ لِبَعضِ قُضَاتِهِ بأجوبة مسائل سأله عنها، وكَتَبَ في آخِرها:

اقصِد إلى ما فيهِ الرِّفق ولا تَأخذ الأُمُور بالعَجَلة.

وأَعْذِر ولا تُمهِل الظَّالمين فيكثُروا.

وتَعَاهَد العُمَّال.

ولا تَستهزِئ بالضَّعيف ولا تُطَوِّلْهُ بِأَن تقول: اقعُد وأنا أَنْظُر في أمرك فَيطُولَ عذابُهُ بِغَير نظرك.

ولا يُعجبكَ مِن الدُّنيا شيءٌ.

وتَفكَّرْ عند غَضَبك وعند رِضَاك بأَنَّ إبليس يَرْتَصِدُ لَكَ ويَطلبُ لك عذاب الخُلُود، ولا صَبْرَ لنا على النَّار، فحَاذِرْ!

وَاخْلُ بِالكريم ربِّك وتَضرَّع إليه، فقد ابتلَيْتُك وابْتَلَيتُ نفسي، فعُدَّها بَلِيَّةً وانظُر كيف تَخرجُ منها.

وتَعاهَد أُمناءَك، ولا تَجعلْهُ مُلْكًا يُتَباهَى فيهِ بالأَعوان والأَخْدَان.

كُلُّ النَّاسِ أبناءُ دُنيا، وإنَّما يَدُومُ ما أُرِيد به وَجهُ الله الكريم السَّيِّد العظيم.

فَاذْكُرْ إحسانَ الله الكريم عندما تَذكُرُ إحسانَ رجلٍ إليكَ، واذْكُر خَوفَكَ مِن الله عندما تَخافُ خَلْقَه.

ولا تَشرَع في الأحكام حتَّى تتَّضِح لك الأُمور فتُشاوِرَ فيها.

ولا تقبل كُتُبَ الرِّضى ولا تَقبَل إلَّا الكُتُبَ المُنكِيَةَ لك المُنغِّصةَ لِعَيْشِك، فلَعَلَّك أن تَتخَلَّص.

فَاعْلَم ما كَتبتُ بِهِ إليك، واتَّقِ اللهَ في ما أَنتَ بِسَبَبِه.

واذكرِ الموتَ وكُربَتَهُ والقَبرَ وظُلْمَتَهُ والصِّراطَ وحِدَّتَهُ وهَوْلَه، فقد عَظُمَت بَلِيَّتُك.

واشْغَل نَفسَك بالدُّعاء في ظُلمةِ اللَّيل وعلى فِراشك وفي كُلِّ الأوقات.

ولا يَغْرُرْكَ ما أَصابَك مِن دُنياك، فإنَّ الدُّنيا مَقرونةٌ بِالعثَرات، وهي دارُ الغُرُور.

واعلم أنِّي أَدعُو اللهَ لك، وأَرغَبُ الله في حِياطَتِك، فاتَّقِ الله!

ولا تَعجَل بِالأحكام ولا بِالضَّرب والسَّجن لمن وجب عليهِ الضَّرب حتَّى تَتيَقَّن.

واكتُبْ كُلَّ ما يَقولُ الشَّاهِد بِجميع قَولِه، ولا تَتغافل في وقتِ شهادتِهِ، فتَشتغل، فتُهلِكَ أَموالَ النَّاس.

واشْتَغِل بأَن تَأمُرَ بالإِصلاح؛ فإنَّهُ قَضاءٌ كبيرٌ.



فإذا أشكلَ عليك الأَمر فقُل: قُومُوا عَنِّي فَاصطَلِحُوا.

ورُدَّ ذَوِي القَرابات حتَّى يَصطلِحوا، ولا تُضِرَّ بِهِم.

وَاسْتَعِن بِأَهلِ الدِّين، فأَقربُ النَّاس إليك أَنشطُهُم في عَونِك حَتَّى تَخْلُص.

وتَوَقَّ واحتَرِس، ولا وِقايةَ ولا احتِراسَ أكثرَ مِن طاعةِ الله الكريم، فإِن نَصَرَك فمَن يخذلك؟ وإِن خَذلكَ فمَن يَنصرك؟ فلَا إله إلَّا الله الكريم العظيم.

وسَوف أَقِفُ معك بين يَدَي الحَكَم العَدل، فيَسأَلُني عن تَقديمك، ثُمَّ يَسأَلُني عمَّا أَمرتُك بِهِ ونَصحتُك بِهِ، فقد والله أَمرتُكَ بِتَقوى الله وإِيثَارِه، فلَا تَنصرف عن أَمرِهِ، فيَصرِف وجهَهُ الكريم عنك، ولن يُنجِيكَ مِنهُ أحدٌ.

أَعانكَ اللهُ.

والسَّلامُ عليكم» اهـ.



❖ سِيَرٌ وتَرَاجِم:

البشير الإبراهيمي وَصداقَاتٌ قديمةٌ

(٠٢):

الشَّيخ محمود شويل المَدَنِي:

هُوَ محمود بن علي بن عبد الرحمن بن محمَّد، المصري الأصل، ثُمَّ ا المَدَني[١٦].

مَولِدُهُ:

ولد في ٢٧ رجب سنة ١٣٠٢هـ بِالمدينة المنوَّرة[١٧].

هجرةُ والدِهِ إلى الحجاز:

«نَزَحَ والدُهُ علي بن عبد الرحمن شويل إلى المدينة المُنوَّرة مُهاجرًا من بلدتِهِ «آبيتيج» إحدى مراكز مُديريَّة «أسيوط» سنة ١٣٠٢هجري عقب احتلال مصر قُبَيل القرن بثلاثة أعوام، وكان محمود في بطن أُمِّهِ، فكان أَوَّلَ مَولودٍ لِوَالِدِهِ»[١٨].

في مَكَّةَ مُجاورًا:

«في سنة ١٣١٨هـ حَجَّ وجَاوَرَ بِمَكَّةَ سنةً في دار الشَّيخ عبد الغني فدَا بباب إبراهيم بالسُّوق الصغير، فاتَّصل ببعض مشائخ الوقت إذ ذاك؛ كالشَّيخ بابصيل وتلميذه الشَّيخ عمر باجنيد، فكان يحضر دروسهم حضورًا عامًّا غير مُستصحبٍ كتابًا، **فَحَبَّبَ ذلك إليهِ العِلم**. فلم تَتِمَّ حجَّةُ ذلك العام حتَّى رَجَع إلى المدينة المنوَّرة»[١٩].

ابتداؤُهُ طلبَ العلم:

قال: «أُلهِمتُ الِاشتغالَ بطلبِ العِلم سنة ١٣١٨هـ مِن هجرةِ سيِّدِ المُرسَلين ﷺ»[٢٠].

مِن شُيُوخِهِ:

أخذ عن جُملة أساتذةٍ منهم:

١٦- الجواهر الحسان لزكريا بيلا (٢/ ٤٨٥).

١٧- ذكر زكريا بيلا أَنَّهُ وُلِد بِبَلَدِهِ .انظر: الجواهر الحسان (٢١/ ٤٨٥).

١٨- الثمر اليَنيع في إجازات الصنيع (ص٥٤٧).

أَمَّا زكريا بيلا فيَذكرُ في الجواهر الحسان (٢/ ٤٨٥): **أَنَّهُ هَاجَر صُحبةَ والدِهِ علي بن عبد الرَّحمن شويل إلى المدينة سنة ١٣١٥هـ!**

١٩- الثمر اليَنيع (ص٥٤٧).

٢٠- الثمر اليَنيع (ص١٦٨).

- الشَّيخ عمر حمدان المحرسي. قال: «أَوَّلُ مَن قرأتُ عليهِ بالمسجد النَّبويِّ»[٢١]، أي: في سنة ١٣١٨ هـ.

- السَّيِّد حُسين الحبشي، كان يَقرأُ عليه كُلَّما جاءَ المدينة زائرًا، ابتداءً مِن سنة ١٣٢٠هـ[٢٢].

- الشَّيخ فالح بن محمَّد الظاهري المهنوي -ابتداءً من سنة ١٣٢٠هـ[٢٣]-، قرأَ عليه في كتب الحديث مُدَّة أربعة أعوام، وبعدما رجعَ المترجَم مِن رحلته الطويلة، لازمَ هذا الشَّيخ إلى وفاته سنة ١٣٢٧هـ[٢٤].

- الشَّيخ علي بن ظاهر[٢٥].

- الشَّيخ عبد الكبير الكتَّاني، أقام عنده بفاس، وقرأَ عليهِ في كُتب الحديث[٢٦].

- الشَّيخ محمَّد بن عبد الكبير الكتَّاني، قرأ عليهِ أيضًا بِفاس[٢٧].

٢١- الثمر الينيع (ص١٦٨-١٦٩).

٢٢- الثمر الينيع (ص١٦٩).

٢٣- الثمر الينيع (ص٥٤٧).

٢٤- الثمر الينيع (ص١٦٩ و١٧١).

٢٥- الثمر الينيع (ص ١٧٠و٥٤٧).

٢٦- الثمر الينيع (ص١٧٠).

٢٧- الثمر الينيع (ص٥٤٨).

وذَكَرَ لهُ الشَّيخ زكريا بيلا جُملةَ مشايخ، وهُم:

- الشَّيخ عبد الله القدومي.

- السَّيِّد حبيب الرحمن الكاظمي.

- الشَّيخ إبراهيم الأسكوبي.

- الشَّيخ عبد الجليل براده.

- الشَّيخ مصطفى صقر.

- الشَّيخ حمدان الونيسي القسنطيني الجزائري.

- السَّيِّد أحمد البرزنجي.

- الشَّيخ بيرم التونسي.

- الشَّيخ محمَّد بن جعفر الكتاني[٢٨].

أسفارُه ورِحلاتُه:

- سافر مع شيخِه الشَّيخ فالح الظَّاهري إلى مصر، ثُمَّ إلى الإسكندريَّة، وحضرَ معهُ طبعَ كُتُبِهِ: «صحائف العامل بالشَّرع الكامِل»، وَ«أنجح المساعي في الجمع بين صِفَتَي السَّامِع والوَاعِي»، وَالثَّبت المُسَمَّى: «حُسن الوَفَا»، قال: «**وسَاهمتُ في تصحيح الكُلِّ**»[٢٩].

٢٨- الجواهر الحسان لزكريا بيلا (٢/ ٤٨٥).

٢٩- الثمر الينيع (ص١٦٩-١٧٠).

- ومن مصر، سافر إلى المغرب الأقصى- عن طريق طرابلس، ثُمَّ تونس.

- مكث بِفاس عاصمة المغرب الأقصى- أربعةَ أعوامٍ[٣٠]. لازَمَ فيها الشَّيخ عبد الكبير الكتَّاني؛ شيخ الطَّريقة الكتَّانيَّة؛ يَأخذ عنهُ علوم الحديث والمصطلح.

- سافر إلى «دَكَارْ» عاصمة السُّودان الشَّرقي، ثُمَّ إلى بلدة «سانلوي» على بحر النِّيجَر، «**فمكث بها سِتَّة أشهر مُشتغِلًا بالتِّجارة**»[٣١].

- ثُمَّ رجعَ إلى «طنجة»، وفي «أنجرَا» لقيَ الشَّيخ عبد الله السَّنُوسِي، الإمام المحدِّث السَّلَفِي.

- رجع إلى مصر، ثُمَّ الأَستانة، ثُمَّ بُخارَى، ثُمَّ رجعَ إلى الحجاز سنة ١٣٢٧هـ.

- في سنة ١٣٥٢هـ سافر إلى الهند - رفقة الأستاذ محمَّد حسين زيدان - تَلبيةً لدعوة بعضِ أصحابه الهنديِّين، فمَكث بها حوالي شهرين[٣٢]. وَقد نَشَرَ في مجلَّة «الفَتح» سلسلة مقالاتٍ مِن هناك، منها مقالةٌ بِعُنوان: «**إِلْمَامَة عن شُؤون مُسلِمِي الهِند: دُروسٌ ومُشاهدات**»[٣٣].

إبْعَادُهُ من المدينة خلال الحرب العامَّة:

«قامت الحرب العامَّة سنة ١٣٣٤هـ فأُخرجَ المترجَم مِن المدينة إخراجًا سياسيًّا، مع مَن أُخرِجَ مِن أَعيان المدينة عقب ثورة الشَّريف الحسين مُتَّهَمًا بأَنَّهُ مِن الحِزب المُؤيِّد للحُسين. فذُهِبَ بِهِ إلى ولاية «أدرنه» بـ«الروم للي»، فمكث هنالك مع بعض أهل المدينة إخوانه الَّذين أُخرجوا معه. وبعد عامٍ ونصفٍ رجع إلى «الأَسِتَانة»... فمكث بها إلى سنة ١٣٤٠هـ، وفي هذه السَّنَة رجع إلى وطنه المدينة»[٣٤].

في العهد الهاشمي:

اشتغل بالتَّدريس في المسجد النَّبوِيِّ مِن

٣٠- في الثمر اليَنيع (ص٥٤٢): سنتَين.

٣١- الثمر اليَنيع (ص٥٤٨).

٣٢- الثمر اليَنيع (ص٥٥٢-٥٥٣).

٣٣- العدد (٣٩٤)، (ص١٦-١٨)، وَالعدد (٣٩٦)، (ص١١-١٢)، والعدد (٤٠٣)، (ص١٢).

٣٤- الثمر اليَنيع (ص٥٤٩-٥٥٠).

سنة ١٣٤٠هـ إلى سنة ١٣٤٣هـ[٣٥].

في العهد السُّعُودي:

- تولَّى وكالة رئاسة القضاء بالمدينة المنوَّرة[٣٦]، بِانتدابٍ من رئيس القضاة الشَّيخ ابن بليهد. ثُمَّ استقالَ منها[٣٧].
- أمين للفتوى بالمدينة المنوَّرة[٣٨].
- عضو هيئة التَّدريس في المسجد النَّبوي[٣٩]. وبعد عامين، مُنِعَ مِن التَّدريس، فترك العِلم وامتهن الفلاحةَ نحو العامين[٤٠].
- عُيِّن مُدرِّسًا بِإمارة المدينة المنوَّرة[٤١]. وَكان لا يزالُ في هذا المنصِب في سنة ١٣٥٢هـ[٤٢].

انتقل إلى مَكَّة - بِأَمرٍ مَلَكِيٍّ - سنة ١٣٥٨هـ[٤٣].

انتقالُه إلى الطَّرِيقَة السَّلَفِيَّة:

كان المترجَم قد تشرَّبَ المذهبَ الصُّوفيِّ عن أشياخِهِ، وقد انتقل إلى «فاس» وصحبَ شيخ الطَّريقة الكتَّانيَّة هناك، وقرأ على الكتَّانيِّين في كتب التَّصوُّف، قال: «**ولقد كَرَعْتُ مِن حِيَاضِ هذهِ الطَّرِيقَة الكتَّانِيَّة، وبَرَّزْتُ فِيهَا مُدَّةَ إقامَتِي بِفَاس، حتَّى قَيَّضَ اللهُ لِيَ الرُّجُوع**»[٤٤].

ولَمَّا سافر إلى «طنجةَ»، لقي الشَّيخ عبد الله السَّنوسي، قال: «**فذَهبتُ إليه لأُباحِثَهُ عن التَّصوُّف ومَحَاسِنِه، فَاجتذَبَنِي اللهُ إلى دِينِهِ الصَّحيح بِواسطته؛ إذ وَجدتُّهُ عالمًا سُنِّيًّا ومُحَدِّثًا سَلَفِيًّا، فقدَّمَ لي مِن كُتُب الشَّيخَين ابن تيميَّة وابن القيم: «اقتضاء الصِّراط المستقيم مُجانبَة أصحاب الجحيم»، وَ«الجواب الكافي»، فوَجدتُ الحَقَّ فيهما، فرَجعتُ إِلَيهِ، ولله الحَمدُ**

٣٥- الثمر اليَنيع (ص٥٥٠).

٣٦- الجواهر الحسان لزكريا بيلا (٢/ ٤٨٥).

٣٧- الثمر اليَنيع (ص٥٥٠-٥٥١).

٣٨- الجواهر الحسان لزكريا بيلا (٢/ ٤٨٥).

٣٩- الثمر اليَنيع (ص٥٥١).

٤٠- الثمر اليَنيع (ص٥٥١-٥٥٢).

٤١- الثمر اليَنيع (ص٥٥٢).

٤٢- كما في إمضائِهِ لإحدى مقالاته الَّتي نشرها بمجلَّة «الفتح» - العدد (٣٨٠)، (ص١٩) -. أمضاها مِن الهند، بهذه الحروف: «**محمود شويل: رانجون برهما، ٢٩ شعبان ١٣٥٢هـ وكيل رئاسة قضاء الحجاز سابقًا، ومُدَرِّس إمارة المدينة المُنوَّرة الجليلة حاليًّا**».

٤٣- الثمر اليَنيع (ص٥٥٣).

٤٤- الثمر اليَنيع (ص١٧٠).

والمنة»[٤٥]. ثُمَّ رجع إلى الحجاز، قال: «ثُمَّ لَازَمتُ مُطالَعةَ كُتُب الشَّيخَين الإِمَامَين: ابن تيميَّة وابن القيِّم، وتَابعتُ مُدارستَها وما امْتَنَّ اللهُ عليهِما بِهِ مِن عِلمٍ صحيحٍ ودِينٍ خَالِص، فأُشرِبتُ العقيدة الصَّحيحة، عَامِلًا في كُلِّ أَحوالي بِالكتاب والسُّنَّة، وما أَلهَمَنِي اللهُ تعالى مِنهُما، غيرَ مُقَلِّدٍ شَخصًا مُسَمًّى أو مَذهبًا مَخصوصًا، غير شخصِ النَّبيِّ ﷺ»[٤٦].

وأَخذَ يَستطلعُ مِن شَيخِهِ الشَّيخ فالح الظَّاهري رَأيَهُ في المَشْرَب السَّلَفِي، و«في تلك العلوم الَّتي حملَها... مِن مَناهِل الإمام السَّنوسي بِطَانْجَة، فوَجَدهُ مُلِمًّا ببعضِها هَائِبًا الرَّأي العامَّ عن التَّصريح إليهِ بها، ولم تَطُل المُدَّة حتَّى اخترَمَت المَنِيَّة الشَّيخ فالح... ومَكَثَ مع عِصابة قليلةٍ جِدًّا لا تَصِل عَدَّ أصابع اليَد... يَغتَرِفُون مِن بِحَارِ كُتُب الشَّيخين الإمام ابن تيميَّة وابن القيِّم في خَلْوَةٍ مِنهُم مُتباعِدِين عن النَّاس مُتَحَيِّنِينَ الفُرَصَ لِإظهارِ الحقِّ الَّذي امْتَنَّ اللهُ عليهِم بِهِ»[٤٧].

من صفَاته:

قال الشَّيخ زكريا بيلا: «كان سَرِيع الإنتِقَاد والنَّقد»[٤٨].

وقال الشَّيخ تقيُّ الدِّين الهلالي: «وبَالَغ الشَّيخ محمود شويل في التَّمَسُّك بِالتَّوحيد والسُّنَّة، وكانت فيهِ حِدَّةٌ شديدةٌ»[٤٩].

من إسهَامَاته:

قال الشَّيخ محمَّد نصيف ـ سنة ١٣٨٠هـ ـ عن كتاب ردِّ الدَّارِمِي: «طُبع في القاهرة قبل سنواتٍ، وكانت النُّسخة مخطوطةً في المكتبة المحموديَّة بالمدينة المنوَّرة، نَسَخَها الشَّيخ محمود شويل بِخطِّهِ، وطُبِعت. طبعها الشَّيخ حامِد، وصارت ضَجَّةٌ في الأَزهر..»اهـ[٥٠].

من تآليفه:

ـ منزلة الحديث في الدِّين وبحث تعارض

٤٥- الثمر اليَنيع (ص١٧٠).

٤٦- الثمر اليَنيع (ص١٧١).

٤٧- الثمر اليَنيع (ص٥٤٩). وَقَارِن هذا بما ذكرهُ الشَّيخ تقي الدِّين الهلالي في كتابه «الدعوة إلى الله»، فإنَّهُ يُخالِفُهُ تمامَ المُخالفَة!

٤٨- الجواهر الحسان لزكريا بيلا (٢/ ٤٨٦).

٤٩- الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة (ص٢١٤).

٥٠- محمَّد نصيف: حياته وآثاره (ص٢٨٢).

الأَدِلَّة السَّمعيَّة والعقليَّة[٥١]. ١٣٥٥هـ= ١٩٣٦م.

- القَول الفَصل في حقيقة سُجود الملائكة واتِّصافهم بِالعَقل. المطبعة السَّلفيَّة، ١٣٧٤هـ= ١٩٥٤م، مع رسالتين للمعصومي الخُجَندي.

- رسالة في صِفَةِ حَجِّ النَّبيِّ ﷺ[٥٢].

- إرشاد الحائِرين لِرَدِّ شُبُهات المُشَبِّهين[٥٣].

- رفع الشَّكِّ وَالارتِيَاب عَمَّن اتَّبعَ السُّنَّة فمَسَحَ على العِمَامَة والشُّرَّاب[٥٤].

ثلاث رسائل طَبع مكتبة المنار، القاهرة، ١٣٥٠هـ=١٩٣١م.

- كشف تلبيس إبليس الَّذي تَكَنَّى بأبي إدريس المشهور بالبوتي. مطبعة الإمام، ١٩٥؟.

- القَول السَّدِيد في قَمع الحرازي العَنِيد. مطبعة الإمام، ١٣٧١هـ.

٥١- «الأعلام» للزِّركلي (٧/ ١٧٤). صدر في المدينة عام ١٣٥٠هـ.

٥٢- الجواهر الحسان لزكريا بيلا (٢/ ٤٨٦).

٥٣- الجواهر الحسان لزكريا بيلا (٢/ ٤٨٦).

٥٤- الجواهر الحسان لزكريا بيلا (٢/ ٤٨٦).

وفاتُه:

- تُوُفِّي رَحِمَهُ اللهُ بمكَّةَ في يوم الجمعة ٢٠ جُمادَى الآخرة سنة ١٣٧٢هـ[٥٥].

كتبَ الشَّيخ أحمد علي بن أسد الله الكاظمي في «مُذَكِّراته» بتاريخ ٢١/ ٦/ ١٣٧٢هـ ما يلي: «**قال الشَّيخ محمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ** والمُفتي الأكبر للبلاد السُّعوديَّة لِلشَّيخ محمَّد عبد الرَّزَّاق، وكان مَدعُوًّا عندَهُ على العَشاء: «**أَحْسَنَ اللهُ عَزَاءَكَ في محمود شويل، فقد تُوُفِّيَ أمسِ بعد أن مرضَ يومًا واحدًا، وقد شقَّ علينا جميعًا نَعْيُهُ، فقد كان رَحِمَهُ اللهُ رجلًا فاضلًا وعالمًا سَلَفِيًّا، وكان مِن الأوصاف الَّتي امتاز بها المرحوم المُرُوءَةُ ومُساعدة إخوانِهِ، مَن يَقصده في قضاء حاجةٍ مِن حاجاتِهِ لَدَى الرُّؤساء الَّذين كان يَعرفهم، وكان نشيطًا في العبادة، ولا يَترك الطَّوَاف ولا الحَرَم، يُؤَدِّي الخمسةَ الفُروض مع**

٥٥- الجواهر الحسان لزكريا بيلا (٢/ ٤٨٦).

الجماعة في الحَرَم الشَّريف، وعَدَا هذا فَقد كانت لَهُ جَولاتٌ في عالَم الصَّحافة، وقد نشر مقالاتٍ دينيَّة اجتماعيَّة كثيرة، وأَلَّف في الأَيَّام الأخيرة رسالة في الرَّدِّ على رجلٍ سُودانيٍّ تَكَلَّم على الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهاب، وآخِرُ مُقابلتي لَهُ هُو في الطَّائِف عندما زارنا في أَوَّل هذه السَّنَة مع مُفتي الدِّيار المصريَّة الشَّيخ حسنين مخلوف والشَّيخ محمَّد حامد الفقي. رَحِمَهُ الله وغفر لَهُ وجعل الجَنَّةَ مَثواهُ» »اهـ[٥٦].

واجتمع الصّديقان: البشير الإبراهيمي ومحمود شويل

كتب الأستاذ عبد القُدُّوس الأنصاري ـ مُحَرِّر مجلَّة «المَنْهَل» ـ يقول: «مُنذُ حَلَّ سماحةُ العلَّامة المُصلِح الشَّيخ محمَّد البشير الإبراهيمي ربوع المملكة العربيَّة السُّعوديَّة كان مَوضع الحَفَاوة والتَّكريم...وقد أَقَامَ لَهُ وَجِيهُ الحجاز بِجُدَّة؛ فضيلة الشَّيخ محمَّد بن حسين نَصِيف حفلةَ غذاءٍ فاخرة في دَارِهِ العامرة، بمُناسبة إِزْمَاعِهِ الرَّحيل إلى بقيَّة رُبُوع الإسلام... تَقَدَّم فضيلة الشَّيخ حامد الفقي.. فألقى كلمةَ فضيلة المُضِيف الشَّيخ محمَّد نصيف بِالنِّيابةِ عنه...وتَقَدَّمَ بَعْدَهُ الشَّيخ محمود شويل، وقد كان زميلًا لِلشَّيخ البشير في طَلَبِ العلم بِالمدينة المنوَّرة قبل الحرب العالمية الأولى، فأَلْقَى كلمةً مُناسِبةً مُرتجِلًا...» اهـ [«البصائر»، العدد (٢٠٩)، ٢٧ ربيع الأول ١٣٧٢هـ، ١٥ ديسمبر ١٩٥٢م، (ص٣)].



٥٦- مذكرات أحمد علي بن أسد الله الكاظمي (٢/ ٩٦١).

❖ تَارِيخٌ وَمُدُنٌ:

وَهْرَان الإِسْلَامِيَّة

تحت الاحتلال الإسبانيِّ الصَّليبيِّ! «٠٢»

❋ قال الفقيه العلَّامة علي بن محمد الجزولي التَّمَكْرُوتِي المتوفَّى سنة (١٠٠٣هـ) في كتابه: «النَّفْحَة المِسْكِيَّة في السَّفَارَة التُّرْكِيَّة» (ص١٧. ط. دار بوسلامة. تونس) – وهي رحلتُهُ إلى إسطنبول عن طريق البحر، حيثُ وَجَّهَهُ السُّلطان أحمد المنصور الذَّهبي إلى مَلِك التُّرك صاحِب القُسْطَنْطِينِيَّة، سنة (٩٩٨هـ-٩٩٩هـ)، انطلاقًا مِن ثَغْر تِيطاوَن، فتَرْغَة، ثمَّ اجتازوا بادِس فَمْلِيلَة المُحْتَلَّتَيْن مِن النَّصارَى، ثُمَّ أَرْسَوا بِجُزُرِ مَلْوِيَّة، فَهُنَين، ... وهذا في شهر شوَّال ٩٩٨ هـ= غُشْت (أُوت)، قالَ- :

«ثُمَّ سافرنا منها واجْتَزْنَا على مدينة وَهْرَان وفيها النَّصَارَى دَمَّرَهُمُ اللهُ وَأَعَادَهَا للإسلام. قال ابن عبد ربِّهِ: هي مدينةٌ حَصِينَةٌ بناها محمَّد بن أبي عون وجماعةٌ من الأندلسيِّين سنةَ تسعين ومِئَتَين [٢٩٠هـ].... واجْتَزْنَا عليه في وسط النَّهار، وهو في جَوْنٍ[٥٧] كبير داخل في البحر، ما بَانَ لَنَا مِنه إلَّا الأَبْرَاج» اهـ.

٥٧-أي: خَليج.

• سَبْتَة، بَابُ الجِهَاد:

❋ قال التَّمكروتي عن إِبْحَارِهِم انطلاقًا مِن «تِطَاوِين»، ثُمَّ رُسُوّ سفينتِهِم في «جُزُر ملويَّة»: «فأَقمنا بِها يومَين حَبَسَتنا فيهِ ريحٌ شرقيَّة قويَّة جاءت في وجوهنا، وعَظُم بِها مَوجُ البحر واضطِرابُه. وقد ذكرَ لنا أهلُ «تِيطَاوِن» أنَّ النَّصارى ـ دَمَّرَهُمُ اللهُ ـ اتَّبَعُونا مِن «سَبْتَة» بِثماني سُفُن، فخَذَلَهُم اللهُ وردَّهم خائبين، بِسَبَبِ هذه الشَّرقيَّة، ثبَّطَتهُم عَنَّا، حتَّى فُتْنَاهُم، والحَمدُ لله. ذَكَرُوا ذلكَ في رُجوعنا إليهِم» اهـ.

قلتُ: كان ذلكَ في سنة ٨٩٨هـ، في عهد السُّلطان المَنصُور الذَّهبي. وقد تَمَّ للنَّصارى أخذُ «سَبْتَة» في سنة ٨١٨ هـ.

❋ وهذا يَسُوقُنَا إلى ما ذكرَهُ أبو راس النَّاصري المُعَسْكَرِي الجزائريّ في كتابِهِ: «**الحُلَل السُّنْدُسِيَّة في شأن وهران والجزيرة الأندلسيَّة**»(ص٤٧٧):

«حِيلَ بيننا ـ مَعشرَ المسلمين ـ [وَ]بين جزيرتِنا الَّتي هيَ أرضُ الأَندلس، وقد سُدَّت أبوابُ غزوِها لِمن أرادَ التماسَ ذلكَ لامتلاكِها بِالكُفر، ومَحَوا مراسمَ

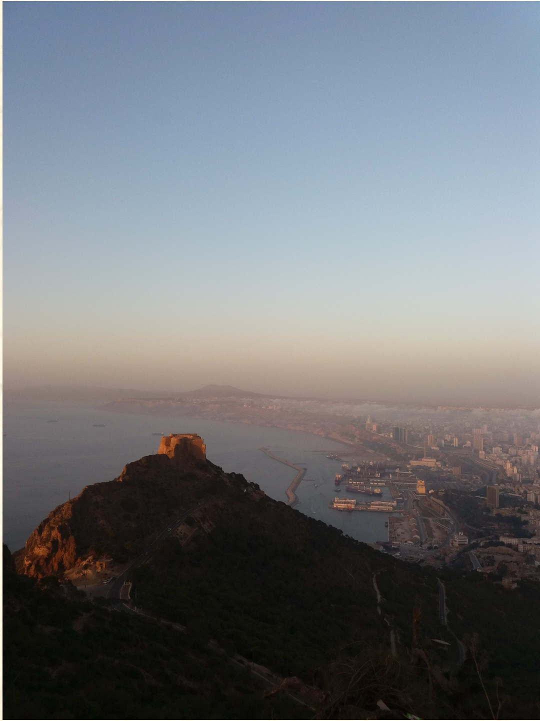
الإسلامِ منها. ألَا ترَى إلى «سَبْتَةَ» الَّتي كانت فُرْضَةَ[٥٨] المَجاز ومنها الجَواز؟ أَخذَها العدوُّ.

ورُوِيَ أنَّ السُّلطان أحمد الذَّهبي لمَّا عزمَ على تجهيز الجيوش لِغزوِ السُّودان سنة ثمان وتسعين وتسعمائة [٩٩٨ هـ] لِنَظرِ مَولاهُ الباشا «جَوْدَر» العِلْج. فقال أهلُ دولتِهِ لَهُ: إنَّها أرضٌ قَفْرٌ ومهلِكةٌ، ولِهذا لم يَغزُها «لَمْتُونَة» ومن بعدَهم. فقال: أَمَّا قولكم «أرضٌ مهلِكة» فمِن أقوى الجُند. وأمَّا التُّجَّار فقد شاهدتُّم حالَهم في ذهابِهم وإيَّابهم سالمِين. وأمَّا «لمتونةُ» ومَن بعدَهم فشُغِلُوا عن غزوِ السُّودان بغزوِ الأَندلس. وأمَّا «بنُو مَرين» فكذلكَ شُغِلوا بغزوِ الأندلس. **وأمَّا «بنُو زيَّان» ونحنُ قد سَدَّ اللهُ بينَنا وبينَ الأندلس.**

وأرادَ بالسَّدِّ أخذَهُم «سَبْتَة»؛ لأنَّها بابُ الجهادِ كما قال أبو الحسن المَرِيني في مَكتوبِه لملكِ مِصر، بمعنى: أنه قالَ لهُ: «سَبْتَةُ بابُ الجِهاد». فعرَّفه بذلكَ؛ لأنَّها سُدَّت في أيَّامه؛ لأنَّ المكتوبَ المذكورَ كان سنة خمسٍ وأربعين مِن القرن الثَّامن. وأمَّا سَبْتَةُ أُخذت سنةَ إحدى عشرةَ مِن القَرن التَّاسع[٥٩].

ومعَ هذا فيُقالُ: إنَّ الذَّهبيَّ قد اعتذرَ عن غَزوِ الأندلس، وأيُّ شيءٍ شَغلَهُ عن غَزوِ «سَبْتَةَ»؟ الَّتي حصلَ لِلمسلمين بها نِكَايَةٌ عظيمةٌ. لَيْتَهُ حَرَفَ عَزْمَهُ إليهَا دُونَ غَزوِ السُّودان. لكن لا مَرَدَّ لِمَا قضى اللهُ. نسألُ اللهَ أن يُعيدَها والأندلُسَ للإسلامِ» اهـ.

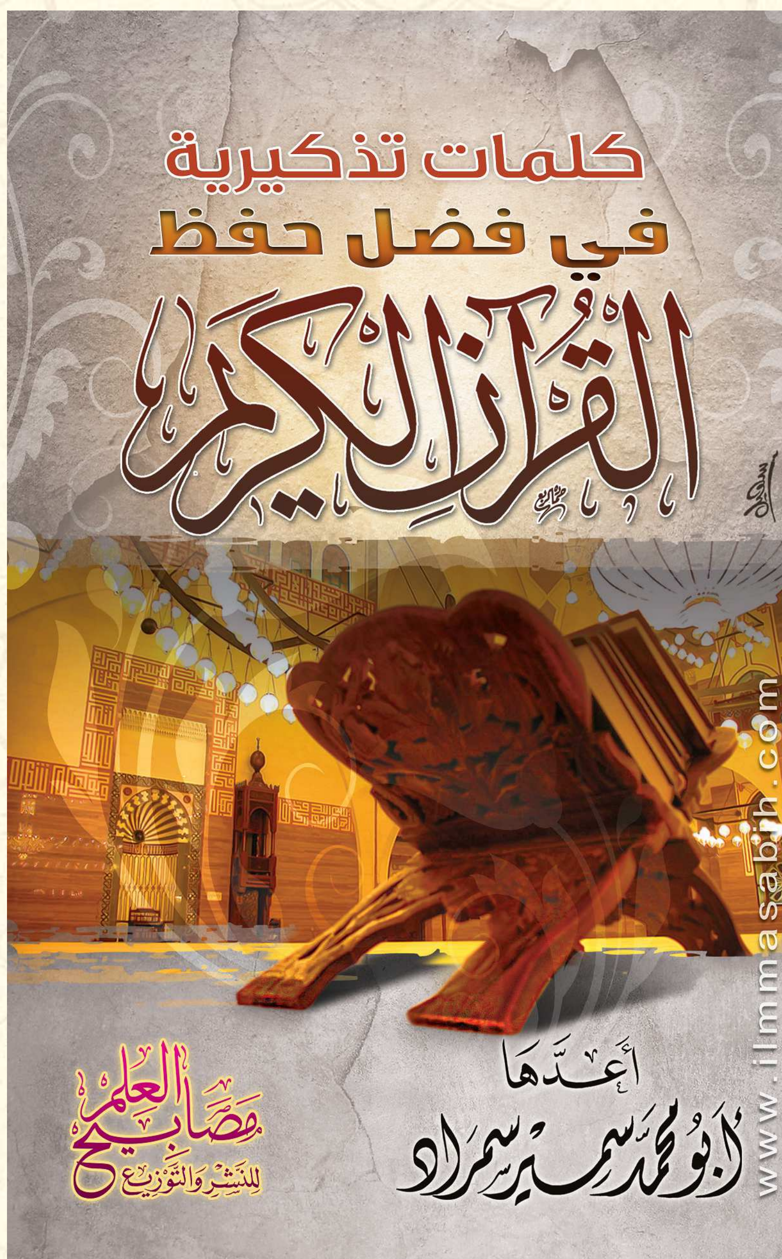




٥٨- الفُرْضَة: مَرْفَأ السُّفُن.

٥٩- تقدَّم أنَّها أُخِذت في ٨١٨ هـ.

إصداراتٌ:


كلمات تذكيرية
في فضل حفظ
القرآن الكريم
أعدّها
أبو محمد سمير سمراد
مصابيح العلم
للنشر والتوزيع
www.ilmmasabih.com

طالعتم فِي العدد السابِق



مصابيح العلم 7

نشْرَةٌ علميَّةٌ دَعويَّةٌ تُعْنى بالتُّراث والمخْطُوط والسِّيَر والتَّاريخ | العدد السَّابع - المحرَّم ١٤٤١هـ/ أوت ٢٠١٩م

- الزُّهْدُ غيْرُ التَّصوُّف
- «السَّعادَةُ الأبديَّة»: ردٌّ على قَصيدَة الشَّيخ الطَّاهر العُبيدي
- البشير الإبراهيمي وصَداقاتٌ قديمةٌ
- رسالَةُ الشَّيخ البَشير الإبراهيمي إلى الشَّيخ عبد القادر القاسمي

مسجد المشور - تلمسان

مصابيح العلم

00 (213) 557 65 80 06

aboumohamedsamir@gmail.com

www.ilmmasabih.com